

العميل بابل

أوهام الموساد .. وحقيقة أشرف مروان

אשרף מרואן

عصام عبد الفتاح

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

الرجل الذى زلزل عرش الموساد

العميل بابل

الرجل الذى زلزل عرش الموساد!!

اسم الكتاب: العميل بابل .. الرجل الذى زلزل عرش الموساد

اسم المؤلف: عصام عبد الفتاح

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٣٦١٢/ ٢٠٠٧

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-338-2

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال - فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني - ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٨



سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail: darkitab2003@yahoo.com - daralkitab-nassif@hotmail.com

العميل بابل

الرجل الذى زلزل عرش الموساد

أوهام المخابرات الإسرائيلية..

وحقيقة أشرف مروان

◆

عصام عبد الفتاح

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

إهـــــداء

إلى وطنٍ لانزايد عليه ..

وشهداء رووا بدمائهم الغالية ثراه ..

وعيون يقظة جعلها الله عزّ وجل سر أمانه

أُهدى هذا الكتاب...

عصام عبد الفتاح

مُقدِّمة

استيقظ العالم ذات يوم على صور أشرف مروان وأنباء مصرعه وهما يتصدران كافة وسائل الإعلام من صُحُف وقنوات فضائية .. كان الرجل قد لقى حتفه .. بشكل مفاجئ .. وبصورة ألقت بظلالٍ كثيرةً من الشكوك حول تلك الوفاة الغامضة .. كان قليلون فقط هم الذين يعرفون الرجل .. أما الغالبية العظمى فقد أخذوا يتساءلون: من هو أشرف مروان ؟! ذلك الرجل الذى وصفوه بأنه أكبر علامة استفهام فى التاريخ المخابراتى لما بعد يونيو١٩٦٧..

وهذا الكتاب هو محاولة للإجابة عن هذا السؤال .. وأسئلة أخرى كثيرة أحاطت كستائرٍ سوداء بحياة رجلٍ كان عالمه الخاص غامضاً .. مثلما كان هو نفسه أكثر غموضاً .. فبقى الكثير من ملامح حياة أشرف مروان غير معلن .. ربما لطبيعته الشخصية .. أو لأسباب خاصة به .. فقد كان مبدأه طيلة حياته "ألا يعرف أسرار أشرف مروان سوى أشرف مروان".. ولا يحتفظ بأسراره المالية أوالتجارية فى "فولدر" سرى بجهاز الكمبيوتر الخاص به .. أوعلى ديسكات .. أو خزائن سريةٍ.. إنما كل ذلك كان محفوظاً فقط فى عقله ومفكرةٍ صغيرةٍ يحتفظ بها دائماً فى جيبه ..

ويتساوى الأمر فى غموضه سواءً فيما يتعلق بتفاصيل حياته قبل مصاهرته الرئيس الراحل عبد الناصر .. وقبل دخوله بؤرة الأحداث ودائرة الضوء .. أوفيما تلا ذلك من مراحل حياته .. مما أعطى الفرصة للبعض من أعدائه (وما أكثرهم) أن يروجوا حوله العديد من الشائعات والأكاذيب .. بشكلٍ اختلطت فيه الحقيقة بالكثير من الادعاءات ..

مسلمات وحقائق .. !!

وهناك مسلمات وحقائق هامة ومؤكدة فى ملف أشرف مروان ..

فلا شك أنه كان يعمل بتجارة السلاح .. بل كان أحد أبرز أباطرة هذا العالم الخفى ..

ولا شك أنه كان يتمتع بنفوذ وعلاقات سياسية مع العديد من رؤساء وملوك العديد من الدول العربية والعالمية والعديد من أجهزة المخابرات .. بشكل غير مسبوق ..

ويقيناً أنه استغل كل هذا ليرسى به دعائم ما نستطيع أن نسميه امبراطوريته الخاصة .. التى تجاوز حجم أعمالها المليارات ما بين أصولٍ ثابتة وأموالٍ سائلة فى العديد من بلدان وبنوك العالم..

اليقين الأكبر.. !!

أما اليقين الأكبر .. فهو أنه كان هناك .. حاضراً .. وبقوة وراء أسوار ذلك العالم الذى لايعرف الرحمة .. جالساً على قمة الهرم المخابراتى الذى تتسع تصنيفات العملاء المنتمين له باتساع كل طبقة من طبقاته الهرمية .. وهناك على قمته يجلس منفرداً ما نطلق عليهم طائفة "العملاء المزدوجين" .. وهو واحد منهم بشهادة طرفى العلاقة نفسها .. الجانب الإسرائيلى الذى لعب الرجل دوراً ما ضده .. وذلك ليس من قبيل الرجم بالغيب إنما باعترافهم هم أنفسهم .. وبناءعلى ذلك فهم يملكون نصف الحقيقة .. والنصف الآخر يملكه الجانب الآخر وهو الجانب المصرى الذى مازال مصراً على ألا يخرج ملف الرجل للنور إلا فى التوقيت الملائم والمناسب بالنسبة لهم .. وتعاملوا مع الأمر بتجاهل وصمتٍ غريب أثار دهشة واستهجان الجميع وكأن الأمر لايعينهم من قريب أو بعيد .. وهو ما أخذ على الجانب

المصرى فى تعامله مع القضية .. فالرجل كان- ولا يزال- محسوباً عليه بشكل بالغ الحساسية، لأنه كان موظفاً كبيراً فى جهاز الحكم ومستشاراً سياسياً لرئيس سابق، وفى نفس الوقت مندوبه وممثله فى مهام سياسية غاية فى الحساسية عربياً وعالمياً .. وكان يجب التعامل مع ما أشيع حوله من اتهامات بشكل أكثر حسماً .. خاصة بعدما أصبح أشرف مروان بما أثير حوله من أقاويل مادة خصبة ومتفجرة لبرامج عالمية يرد فيها ذكر مصر بشكلٍ كبير .. ويتم الربط بينه وبين الوطن الذى عاش يمثله سياسياً لفترة ليست بالقليلة ..

وسبق السيف العذل !!

وبعد أن سبق السيف العذل .. ولقىّ أشرف مروان مصرعه .. فوجئنا جميعاً بتصريحات مصرية واضحة .. وقاطعة على لسان الرئيس المصرى نفسه الذى أشاد بالرجل وباخلاصه لمصر .. ووطنيته التى لاشك فيها .. وترك للجميع قراءة مابين السطور .. وكان ما بين السطور لا يحتمل الشك .. فهو أوضح من الوضوح نفسه .. وكأنه يقول لمن لا يبصرون شمس الحقيقة وأعماهم طوفان الافتراءات المتتالية على الرجل : موتوا بظنونكم الكاذبة .. فلن نخرج ما لدينا إلا عندما نريد.. وفى التوقيت الذى نختاره ..

وجهان للحقيقة.. !!

وبين هذا .. وذاك .. أصبح لملف عمالة أشرف مروان وجهان .. الأول هو المرفوض تصديقه والذى اُتهمَّ الرجل من خلاله بأنه أكبر خائن عرفته مصر فى تاريخها .. ومجرد تاجر سلاح .. تحميه أجهزة مخابرات عالمية يعمل تحت مظلتها .. و يستحق نهاية تناسب جرائمه التى لوثت يديه بدماء شهداء الوطن الذى خانه وباعه بحفنة دولارات .. وانطلق هذا الطرح كالنار فى الهشيم منذ سنوات ..

والثانى أكد أن الرجل كان بطلاً .. أدى لوطنه خدمات جليلة .. وساهم بدورٍ كبير ومؤثر فى مسار حرب التحرير .. وكان عميلاً مزدوجاً زرعته المخابرات المصرية داخل القيادة الإسرائيلية نفسها لتمرر من خلاله معلومات استراتيجية معينة ساهمت بشكل كبير فى نجاح حرب التحرير وانتصار اكتوبر .. وُطِرّح كُلاً الإحتمالين إعلامياً بقوة .. سواء فى مصر .. أوفى إسرائيل .. أوفى العديد من دول العالم ..

إصرار إسرائيلى غريب .. !!

وبدأت تتسع دائرة علامات الاستفهام .. أولها حول الجانب الإسرائيلى الذى تطوع جهازه المخابراتى بإصرارٍغريب ليفضحه الرجل إعلامياً بشكلٍ غير مسبوق فى نفس الوقت الذى يروج فيه ذلك الجهاز بأن مروان كان عميلاً له بالرغم من أن ذلك يناقض أولاً قوانيها الرسمية.. وثانياً ما اعتادت عليه.. حيث أنها على مدار السبعة وخمسين عاماً الماضية وهى كل عمر الموساد من لحظة تأسيسه عام ١٩٥٠ لم تُشر.. أو تعترف على الإطلاق بإسم أى عميل تابع لها.. حتى جاسوسها الشهير (بولارد) المسجون حالياً فى الولايات المتحدة تُنكر إسرائيل تماماً علاقتها به بالرغم من أنها قدمت مؤخراً طلباً للإدارة الأمريكية للإفراج عنه مبادلةً مع مروان البرغوثى.. ورفضت الإدارة الأمريكية الطلب.. وكذلك لم تعترف رسمياً من قبل بعمالة (إيلى كوهين) جاسوسها الذى اخترق القيادة السورية إلا بعد أن تم إعدامه.. فما هو السر وراء ذلك؟. هل هى محاولة من جانب إسرائيل للضغط على المخابرات المصرية لإخراج ملف أشرف مروان ليكتمل لديها نصف الحقيقة الآخر الذى لا تملكه؟ .

بداية الأزمة .. !!

وكانت بدايات اندلاع الأزمة على الصعيدين المصرى والعالمى بعد نشر كتاب "تاريخ اسرائيل"، الذى كان السبب المباشر لكى تعرف حكاية "العميل بابل" طريقها للرأى العام عبرصفحات الجرائد وشاشات التليفزيون فى إسرائيل أولاً.. ثم فى مصر .. وإنجلترا وباقى الدول العربية .. ودول العالم .. مؤلف الكتاب يدعى "أهارون برجمان" عمل كضابط مدفعية بالجيش الإسرائيلى .. قبل أن ينتقل للعمل فى المخابرات الإسرائيلية لفترة قصيرة .. بعدها سافر إلى لندن عام ١٩٨٩ لاستكمال دراسته والحصول على الدكتوراة من إحدى جامعاتها.. وأقام هناك بصفة نهائية متفرغاً للكتابة والعمل الصحفى .. وتخصص فى تأليف كتب عن الصراع العربى - الإسرائيلى .. ثم أصبح فيما بعد محللاً سياسياً فى إذاعة الـ"B.B.C" ومحاضراً فى قسم الحرب بجامعة لندن ..

عندما خرج أشرف عن صمته .. !!

وتساءلنا .. كما تساءل الجميع: أين أشرف مروان نفسه من كل ما يشاع عنه؟.. لماذا يُصر على التزام الصمت .. لماذا لا يرد .. و متى ينطق؟ .. لكنه أبىّ إلا الصمت.. ولم يخرج عما فرضه على نفسه .. أو فُرِضّ عليه من صمت إلا مرتين فقط .. عاد بعدهما ليلتزم الصمت التام ..

رواية بوليسية ساذجة.. !!

كانت المرة الأولى قبل عدة سنوات .. عندما التقاه الصحفى عادل حمودة فى مكتبه بمصر الجديدة وطالبه بالرد على ادعاءات برجمان وإبداء رأيه كتابةً فى هذه القضية .. فتناول منه الورقة والقلم وكتب فى كلمات وجيزة ما يلى :-

"إن هذه الرواية لا تبتعد كثيراً عن الروايات البوليسية الساذجة والرخيصة.. خرجت من عقل صاحبها وليس لها أساس من الصحة .. ولا الحقيقة" ..

وكانت المرة الأخرى فى حديثه الخاص مع جريدة الأهرام المصرية عام ٢٠٠٢ حيث كرّر ما قاله لعادل حمودة من قبل، وقال بالنص :

"إن كتاب برجمان ما هو إلا قصة بوليسية ساذجة" ..

برجمان يرد .. !!

وبعد أقل من ثلاثة أسابيع رد عليه برجمان فى نفس الصحيفة قائلاً :-

"إن لم تكن أنت العميل المقصود فأرنا جواز سفرك لنرى أين كنت ليلة السادس من أكتوبر" .. وصمت مروان ولم يرد .. وعاد لصمته مرةً أخرى ..

ونتساءل.. هل لم يكن لدى أشرف مروان ما يقوله ويرد به على اتهام هؤلاء له بخيانة وطنه؟ وما أبشعه من اتهام؟ أم كان صمته لأسباب ودواعى خاصة بالأمن القومى لم يحن الوقت بعد للكشف عنها تقتضيها مصلحة الوطن على الأقل مؤقتاً وإلى حين؟؟.. كما قال فيما بعد الرئيس حسنى مبارك بتصريحاته التىأعقبت وفاة أشرف .. ونقول الأرجح أن صمت أشرف مروان كان بتعليماتٍ عليا تلقاها من الجانب المصرى ..

هل قتل أم انتحر؟ .. !!

وبقى السؤال الأهم :هل قتل أشرف مروان؟ أم انتحر؟ .. الإجابة عن هذا السؤال تكمن فقط فى معرفة المستفيد من قتله : من يهمه ألا تخرج مذكرات أشرف مروان التى كان تقريباً قد انتهى من كتابتها للنور؟ من خُدع فى الرجل .. واعترف علانيةً

بأنه تلاعب به وبأحلام دولة جلس على عرش جهازها المخابراتى وهو يتخيل أنه تمكن من اختراق عائلة ومكتبٍ أكبر رئيس جمهورية فى الشرق الأوسط .. وعدوهم الأول " جمال عبد الناصر " فاكتشف فيما بعد أنه كان دميةً فى يد ذلك الشاب الذى تلاعب بهم كيفما شاء ؟ وكان أحد أهم أسباب الهزيمة التى تجرعوا مرارتها وما أشدها من مرارة .. وقال عنه بالنص: " لقد خدم أشرف مروان مصر بشجاعة نادرة .. وساهم بذكائه فى خديعة إسرائيل .. وإن عملية بابل - الاسم الكودي لأشرف مروان - من أبرز ما نفذته المخابرات المصرية .. قبل وأثناء حرب أكتوبر " .. هذا هو نص تصريحات " إيلي زاعيرا " رئيس المخابرات الإسرائيلية أثناء حرب أكتوبر للصحافة الإسرائيلية .. فهل عرفنا الآن من كان وراء تصفية الرجل .. الذى نضم صوتنا لكل من يرفض التصديق بانتحاره .. أو حتى التسليم بمصرعه قضاءاً وقدراً ؟!

وبقى أن نقول إنه عندما تكون المعلومات المتوفرة عن شخصٍ ما مبتورة .. والصورة غير متكاملة الأركان .. غير واضحة المعالم .. تصبح الكتابة عنه بمثابة رحلة شاقة على الكاتب .. والقارئ معاً .. لكن لابد من خوض غمارها .. والإبحار فى عالمها حتى نصل إلى بر الحقيقة ..

وحتى نخرج فى النهاية بأكبر قدرٍ ممكن من وضوح الصورة وترابط الأحداث جاءت الرحلة نسيجاً من خيوط الحقيقة وبعض لمحاتٍ من خيال الكاتب لتوضيح ما هو مبهم وتائه بين سطورها .. بلا تصادم أو تعارض أو طغيانٍ للخيال على لب الواقع ..

.. ونبدأ رحلتنا مع أشرف مروان .. وحكاية العميل بابل ..

المؤلف

تمهيد
أشرف مروان.. بورتريه

الاسم بالكامل : "محمد أشرف مروان"

ولد بالقاهرة فى الثانى من فبراير ١٩٤٥.. لأسرةٍ متوسطة ..

الأب كان يعمل ضابطاً بالقوات المسلحة المصرية .. والأم ربة منزل ..

تدرج فى مراحل التعليم العادية .. وعاش حياته كأى شابٍ عاديٍ آخر .. حتى حصل على بكالوريوس العلوم في الكيمياء من جامعة القاهرةٍ عام ١٩٦٥ بتقدير جيد.. فى بداية حياته العملية كان يخطط لنفسه للالتحاق بسلك التدريس الجامعى لذا كان طموحه العلمى كبيراً .. فحصل أولاً على الماجستير .. بعدها حصل على الدكتوراه فى٢٥ ديسمبر عام ١٩٧٣ من كلية العلوم جامعة القاهرة فى مجال " كيمياء المتفجرات "، تحت إشراف د .أحمد مصطفى وزير البحث العلمى السابق .. وكان ذلك تحديداً عشية انعقاد مؤتمر القمة العربى بالجزائر، وتم تسجيل درجته للدكتوراة بعد مناقشتها بجامعة " ليستر" بلندن فيما بعد ..

تزوج من " منى " صغرى بنات الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يوم ١٩٦٦/٧/٧ وقتها كان قد بلغ عامه الحادى والعشرين .. ويعمل كضابط برتبة ملازم أول بالمعامل المركزية للقوات المسلحة .. وكان والده وقتها قد وصل لرتبة العميد بالقوات المسلحة ويرأس هيئة الإمداد والتموين بها .

فى ١٤ فبراير سنة ١٩٧٤ عُيّن سكرتيراً لرئيس الجمهورية للإتصالات الخارجية..

فى ١٨ أغسطس عُيّن مشرفاً على مكتب الشئون العربية برئاسة الجمهورية.

فى سبتمبر عام ١٩٧٥ عُيّن عضواً بمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع الحربى.. وفى أكتوبر من العام نفسه تم تعيينه رئيساً لمجلس إدارتها..

فى سبتمبر سنة ١٩٧٩ تم تعيينه سفيراً من الدرجة الممتازة بوزارة الخارجية.

سمات أشرف مروان الخاصة.. !!

سمات أشرف مروان الخاصة تضفى عليه قدراً أكثر من الغموض.. فضابط القوات المسلحة .. صاحب الرتبة الصغيرة .. الذى وضع يده فى يد أكبر رئيس جمهورية فى الشرق الأوسط .. وجاءت به أقداره من رحم الطبقة المتوسطة.. ركب ذات يوم قطار طموحه .. وقاده بنفسه .. وسار على قضبان الخطر .. متخطياً فى طريقه كل العلامات الحمراء .. لا توقفه محطات الحقد والغيرة التى كثيراً ما قابلته فى طريقه.. فلم تكن عيناه تبصران إلا هدفه فقط .. وهو الوصول بأقصى سرعة .. لكل ما يستطيع أن يصل إليه من نجاحات .. على كل المستويات.. سياسياً.. ومادياً ..

وكان أشرف صاحب كاريزما خاصة .. يتمتع بشخصية آسرة .. لايتفق مظهره والتصورات المأخوذة عنه باعتباره رجلاً صاحب ثروة .. له علاقات غامضة .. ومحترفاً فى صراعات المال والأعمال .. إنه ببساطة- وكما قال الكثيرون- كان «متواضعاً جداً».. عطوفاً ورجل خير بمعنى الكلمة .. مجاملاً اجتماعياً لأقصى درجة.. لكنه حاسم تماماً فى أمور حياته العملية والشخصية .. يتمتع بذكاء شديد.. مقاتل عنيد ومحب للحياة.. وعرف عنه طيلة حياته أنه كان قليل الكلام.. لا يشارك فى أى حوار يدور حوله إلا فى حدود ضيقة .. ولا يتطوع لبدء حوار مع أى شخص أياً كان قدره وأهميته .. ويتحدث فقط فى حدود معرفته ومعلوماته الشخصية .. باختصار كان قليل الكلام .. لكن ذلك ليس من قبيل التعالى على الآخرين.. وكما قلنا فقد عرف عنه طيلة حياته تواضعه الشديد .. وأدبه الجم .. وإنما من باب عدم الدخول فيما لا يعنيه ..

أسماء .. وحكايات.. !!

أطلقت الصحافة المصرية والعالمية على أشرف مروان العديد من الأسماء .. كل منها كان وراءه قصة .. وحدوتة .. فهو :

"الرجل الغامض" ..

الذى لا تروى المعلومات المعروفة عنه ظمأ الباحثين وراءه من صحفيين .. وكُتاب.. وغيرهم .. وكان مبدؤه فى الحياة "ألا يعرف أسرار أشرف مروان غير أشرف مروان نفسه" ..

"الطفل المعجزة " ..

الذى صنع فى سنواتٍ قليلة .. ما يعجز عن تحقيقه كثيرون فى عشرات السنين..

"الأسطورة " ..

بنفوذه الذى لايعرف حدوداً .. ولا يستسلم لمعوقات ..

"الملياردير الصامت"

أُطلقت عليه هذه التسمية بعد أن تفجرت إعلامياً وصحفياً حكايته مع الموساد.. وربطت هذه التسمية بين ما وصل إليه من ثراء جعله مصنفاً كأحد أغنى أغنياء

الشرق الأوسط .. وبين ما فرضه على نفسه من صمت تجاهها .. فقد نشرت مجلة "فوربس" العالمية قبل عدة سنوات قليلة تقريراً خاصاً عنه قدرت فيه ثروته بـ ٨٠٠ مليون دولار .. وأشارت إلى أنه يمتلك شقةً فاخرةً فى ٥٠ شارع فوشيه بباريس وهو أغلى شارع فى العالم.. ويتنقل بين جميع أنحاء العالم بطائرته الفالكون الخاصة.. وأكدت المجلة فى تقريرها أنه بعد عشر سنوات فقط من هبوطه أرض العاصمة البريطانية "لندن" كان أحد أهم أعضاء نادى "الملتي مليونيرات" فى العالم وتسعى مختلف الحكومات لتكريمه والاحتفاء به، مثلما فعلت حكومة كندا التى منحته جنسيتها عام ٢٠٠٢، بعد أن أنشأ هناك أحد مشروعاته السكنية المتميزة بجوار مطار "ميرابل" المطار الثانى للدولة هناك ..

"الصهر" .. أو "العريس" ..

وهى أسماء كودية خاصة به أطلقتها عليه المخابرات الإسرائيلية .. لعلاقة النسب والمصاهرة بينه وبين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بعد زواجه من ابنته الصغرى "منى" .. لأنه فى بدايات علاقته بالموساد عام ١٩٦٩ لم يكن مرّ على زواجه من "منى" أكثر من ثلاثة أعوام تقريباً ..

والعميل بابل؟ .. !!

وآخر .. وأشهر تلك الأسماء كان "العميل بابل" .. الذى أطلقته عليه أيضاً المخابرات الإسرائيلية .. ومع هذا الاسم نتوقف قليلاً لنتساءل : لماذا اختارت المخابرات الإسرائيلية "العميل بابل" تحديداً كإسم كودى لأشرف مروان ؟!.. هل للإسم دلالة ما ؟ .. فأجهزة المخابرات لا تطلق على عملائها أسماء بلا معنى.. ولا هدف .. فهذا العالم الغامض بنى أساساً على الدقة والقصد فى كل شيئ .. فماذا تعنى إذاً التسمية ؟

المفاجأة أن الاسم يطرح دلالة خطيرة فى الإجابة عن سؤال هام حول الصورة التى رسمها الإسرائيليون لأشرف مروان .. الذى أصابهم بحيرة غير مسبوقة .. فلم يعرفوا الوصول إلى بر فى تصنيفهم له من اللحظات الأولى التى بدأت فيها علاقته بهم .. لأن التسمية باختصار شديد ترتبط فى تاريخ بنى إسرائيل بالبرج الشهير والمدينة الموجود بالعراق القديمة اللذين يحملان نفس الإسم .. وكان اليهود يسكنون قديماً تلك المدينة .. فى وقت كان فيه العالم- بحسب ما يذكر تاريخهم- يتكلم جميعاً لغةً واحدة .. وعندما أمر الله ملائكته بتدمير البرج تشتت أحفاد آدم فى كل الشعاب وتعددت لغاتهم فعمت الحيرة والبلبلة أرجاء المعمورة .. ويبدو أن أشرف مروان قد أصابهم هم أيضاً بنوعٍ من البلبلة ؟.. بعد أن ذكرهم بحيرتهم القديمة فأطلقوا عليه هذا الاسم؟؟ ..

كلمة السر .. !!

وقبل أن نبدأ قراءتنا فى أوراق هذه القضية .. نحاول أن نحدد بدايةً مفتاح القضية ككل .. وفى رأينا الشخصى نستطيع أن نوجزه فى كلمةٍ واحدة .. وهى "الصدمة" .. نعم .. فهى كلمة السر فى هذا الملف .. وعلى قدرِ أهمية الرجل بالنسبة لهم .. كان وقع الصدمة عليهم كبيراً مرتين.. الأولى بعد أن نجحوا بالفعل فى تجنيده بعد أن ذهب إليهم بنفسه يعرض خدماته.. والثانية بعد أن كانوا يتباهون بأنهم استطاعوا تجنيد رجلاً بحجم وقدر وأهمية أشرف مروان فى النظام المصرى فى الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى .. ثم فوجئوا بأنه فى الحقيقة ما كان إلا أكبر صفعة ولطمة تلقوها على وجوههم .. وأكبر وصمة فى تاريخهم المخابراتى.. وتوالت صراعات واعترافات قادة مخابراتهم العسكرية .. والمدنية .. يعترفون بالخديعة بينما يلقى كل منهم بالمسئولية على الآخر .. ووصلت تلك الصراعات الى ساحات المحاكم هناك.. بعد أن اشتعلت على صفحات جرائدهم .. وشاشات

قنواتهم التليفزيونية.. وتحول جهازهم المخابراتى "الموساد" الذى تخيلوه أسطورةً كبرى .. وكان بالنسبة لهم مثل حائط المبكى .. يذهبون إليه متوهمين أنه الملاذ الذى يتخلصون عنده من الذنوب والآثام إلى مادة موسمية للسخرية والاستهزاء من الصحافة العربية والعالمية .. بل والإسرائيلية نفسها .. وأصبح بإخفاقاته المتكررة أكبر وصمة عار فى حياتهم .. وتحول قادته إلى متهمين أمام الرأى العام.. وخضعوا للمساءلة والمحاكمة.. وباعترافهم هم أنفسهم فإن أشرف مروان رحل وترك وراءه بقعةً سوداء تلوث تاريخ الجاسوسية فى إسرائيل، بعد أن خدعها وجعل من هذه المؤسسة أضحوكة بعد أن لعب عليهم لعبة العميل المزدوج .. وذلك بالنص هو ما كتبته صحيفة « معاريف» الإسرائيلية عقب وفاة أشرف مروان ..

الفصل الأول

موعد مع القدر!!

الزمان : ظهيرة الأربعاء الموافق ٢٧ يونيو ٢٠٠٧..

عقارب الساعة تشير للواحدة والدقيقة الأربعين تماماً..

المكان : العاصمة البريطانية لندن .. التى كانت تعيش يومها حالة ارتباك أمنى شديد.. حيث أعلنت وكالات الأنباء أن رئيس وزراءها "تونى بلير" فى طريقه فى تلك الأثناء إلى قصر الملكة لتقديم استقالته هو وحكومته!!

وتحديداً أمام البرج رقم ٥٠ والذى يحمل اسم "كارلتون هاوس تراس" وهى إحدى أهم وأشهر وأغلى البنايات السكنية فى العالم .. ويصل سعر الشقة فيها لحوالى ٦٠ مليون جنيه إسترلينى .. البناية الشهيرة تقع فى أحد أشهر شوارع العاصمة البريطانية وهو شارع "سان جيمس"، ويقع على يمينها منزل رئيس الوزراء البريطانى .. وعن يسارها مقر مجلس النواب .. وبالقرب منها قصر الأسرة المالكة.. ولا يسكنها إلا علية القوم هناك من وزراء ورجال أعمال وسياسيين وغيرهم.. ويحتل الجزء السفلى منها متحف الفن الحديث .. كما تضم أيضاً فروعاً وإدارات لبعض أكبر الفنادق والمطاعم العالمية .. والمنطقة ككل دون باقى أحياء وميادين العاصمة البريطانية تتميز بالهدوء الشديد ..

الجثة المجهولة.. !!

فوجئ المارة والسكان بهذه المنطقة الحيوية بصوت ارتطام شديد يقطع صمت المكان وهدوءه المعتاد .. هرول الجميع ناحية مصدر الصوت ليفاجأوا بجثة رجل فى السبعين من عمره ملقاةً بحديقة المنزل الذى سقط من أعلاه .. وقبل أن يتساءلوا

فيما بينهم من يعرف الرجل .. كان أفراد الأمن بالبناية يشيرون إليه ويقولون إنه "مستر مروان" رجل الأعمال المصرى الذى يقيم بالدور الخامس.

بعد أقل من ساعة!!

رجال الشرطة البريطانية "الاسكوتلاند يارد" يحيطون بالمكان .. شريط طويل من البلاستيك الأصفر تعلوه كلمة "police" يلف الموقع ككل .. ويفصل حديقة المنزل .. ومكان الجثة عن مئات الأشخاص الذين تجمعوا وأحاطوا بموقع الحادث..

خارج سور الحديقة تقف سيارة إسعاف بجوارها العديد من سيارات الشرطة البريطانية ..

الكل عيونهم معلقة بالجثة الملقاة على الأرض .. والمغطاة بغطاء بلاستيكى كبير.. عدسات المصورين الصحفيين .. وكاميرات القنوات الفضائية تتسلل بين صفوف الزحام الشديد المحيط بالمكان تحاول أن تبحث عما تبثه للمتابعين للحدث على الهواء مباشرةً .. يقف بعيداً السفير المصرى فى لندن "جهاد ماضى" ممسكاً بهاتفه المحمول .. تبدو عليه علامات القلق والتوتر الشديدين وهو يتحدث .. على الطرف الآخر كان معه وزير الخارجية المصرى شخصياً .. بنبرة حزنٍ شديدة أخبره جهاد ماضى أن "أشرف مروان" قد لقى حتفه .. فقد كان الرجل الذى عُرف بأنه أكبر علامة استفهام فى تاريخ الجاسوسية بالشرق الأوسط .. فى هذا اليوم .. وهذا التوقيت بالتحديد.. على موعد مع القدر ليقول كلمة النهاية فى مشوار حياته الذى توقف به عند المحطة الثالثة والستين من عمره ..

وعندما سأله وزير الخارجية المصرى عن التفاصيل لم يستطع جهاد أن يجيب.. لأنه ببساطة شديدة لم يكن أحد حتى ساعتها يعرف أى شيئ .. فالحادث مرّ عليه أقل من ساعة .. والمعروف فقط أن الرجل سقط من شرفة شقته الواقعة أعلى نفس البناية .. لكن كيف ؟. ولماذا ؟. وهل قتل ؟. أم انتحر ؟. فلم يكن أحد يعرف بعد ..

تطاير الخبر عبر كافة وكالات الأنباء .. وقطعت قنوات "ميلودى" الفضائية المصرية إرسالها لتذيع القرآن الكريم .. وشريطاً أسود تبثه حاملاً الخبر بدلاً من شريط الـ "S. M. S" الأحمر المعتاد الذى يذيل شاشتها .. لتكون أول قناة مصرية وعربية تذيع الخبر .. وهو أمراً طبيعياً فالرجل هو ممولها ويديرها ابنه "جمال مروان" ..

غموض الموقف .. !!

المتابعون للموقف ككل طرحوا العديد من الأسئلة بمجرد تلقيهم خبر الوفاة .. وجميعها كانت تشير لوجود شبهة جنائية فى الوفاة .. أما ما أعلنته "الاسكوتلانديارد" البريطانية بعدها بعدة ساعات فقط من الوفاة بترجيحها احتمال انتحار الرجل، فهو ما اتفق الغالبية على استبعاده ..

وعاد لغط الحديث حول عمالته للموساد من عدمه يفرض نفسه كإطار عام لكل تساؤل يحيط بالموقف .. وبدأ الجميع يسترجعون شريط الذكريات .. ورحلة صعود نجم الطفل المعجزة..

صفيح ساخن .. !!

وبدأت عجلة الإعلام العالمى بكل اتجاهاتها تدور فى اتجاه الحدث .. وبدأت كل عناوين الصحف والبرامج التليفزيونية والإذاعية تسترجع شريط حياة أشرف مروان .. فى محاولة للإجابة عن علامات الاستفهام المحيطة برجل احتل من ذاكرة وطنه مساحةً ليست بالهينة .. ولعب العديد من الأدوار السياسية الهامة فى حقبة كانت مصر .. وكان الوطن العربى .. بل الشرق الأوسط والعالم أجمع ..على صفيحٍ ساخن .. تقذفه وتتلاعب به سخونة الأحداث التى تعيشها منطقة الشرق الأوسط..

فى كل الاتجاهات .. واحتفظ "أشرف" لنفسه دائماً بدورٍ هام .. ومؤثر على خشبة المسرح ..تصاعد به من مجرد ضابط صغير بسرية الكيمياء بالجيش المصرى عند ارتباطه ببنت الرئيس .. إلى موظف بسكرتارية الرئيس الخاصة تحت رئاسة سامى شرف السكرتير الخاص لعبد الناصر .. إلى مدير لمكتب المعلومات برئاسة الجمهورية .. ثم سكرتيراً شخصياً للرئيس السادات .. ثم رئيساً لمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع والإنتاج الحربى .. رحلة استغرقت زمنياً أقل من عشر سنوات .. تحديداً منذ عام ١٩٦٩ الى عام ١٩٧٨ .. لكن حقق خلالها الرجل ما يعجز غيره عن تحقيق نصفه فى أضعاف تلك المدة الزمنية الوجيزة .. ومن هنا بدأت رحلة صعود الطفل المعجزة كما أطلقت عليه الصحافة فيما بعد .. ليتحول من مجرد موظف راتبه لا يتعدى ٣٣ جنيهاً .. إلى واحد من أهم مليارديرات الشرق الأوسط .. والعالم..

الصدمة الأولى !!

كانت الصدمة كبيرة على جميع أفراد أسرة أشرف مروان وهم يتلقون الخبر الذى هبط على الجميع كالصاعقة .. السيدة منى عبد الناصر زوجة الفقيد كانت فى رحلة تسوق خاصة فى بيروت .. قطعتها على الفور وركبت أول طائرة عائدةً لمصر فى نفس يوم الوفاة .. ولداه "جمال" و"أحمد" كانا يمارسان أعمالهما المعتادة فى نفس التوقيت بشكلٍ عادى عنما تلقيا الخبر .. فتوقفت حياتهما تماماً .. ذهبا إلى منزل الأسرة بضاحية مصر الجديدة .. منتظرين وصول والدتهما لترتيب الموقف..

بلا رفيق !!

القاهرة .. مساء يوم الخميس ٢٨ يونيو ٢٠٠٧

مطار القاهرة الجوى ..

منى عبد الناصر تستعد لتأخذ مكانها فى الطائرة المنطلقة الى العاصمة البريطانية "لندن" يجلس بجوارها ولداها "جمال" .. و"أحمد" ..المذيع الداخلى يرحب بالركاب ويتمنى لهم رحلة سعيدة .. ويذكرهم بربط الأحزمة.. لحظات وتنطلق الطائرة محلقة فوق السحاب .. منى تحدث نفسها: أية رحلة سعيدة التى يتحدث عنها قائد الطائرة !؟ .. أية رحلة تلك التى تقلها بدون الرجل الذى عاشت معه أحلى وأجمل سنوات العمر ؟؟ .. انهمرت الدموع من عينيها .. والوصف الأكثر دقةً أن الدموع لم تفارق عينيها منذ لحظة تلقيها للخبر المشئوم .. "جمال" .. و"أحمد" يحاولان مواساتها وتهدئتها .. بينما لسان حالهما أنهما يبحثان هما أيضاً عمن يواسيهما ويمسح دموعهما..

بداية التعارف !!

منى تعود بذاكرتها للوراء اكثر من أربعين عاماً .. عندما كان "أشرف" شاباً فى العشرين من عمره .. يسير متهادياً عبر مدخل نادى هليوبولس بمصر الجديدة.. يرتدى بدلته العسكريه .. ونجمتان ذهبيتان تعتليان كتفيه .. مقبلاً على الحياة .. يلمح فى عيون كل من يقابلهم نظرات الإعجاب .. ممتزجة ببريق خاص يزيده ثقةً فى نفسه .. وهو يتهادى فى مشيته .. الى حيث المنضدة التى تعود كل يوم خميس من كل أسبوع أن يذهب ليجلس عليها منتظراً مقدم شقيقته الصغرى (عزة) صديقة (منى) الأثيرة .. تأتى الفتاتان .. بعد انتهائهما من ممارسة لعبتهما المفضلة (كرة السلة) ليجلس الثلاثة .. ومن بعيد تراقبهم عيون حرس الرئاسة المصاحبين لابنة

الرئيس .. وعيون باقى رواد النادى الذين تعودوا رؤيتهم هكذا كل أسبوع .. يرفع الجرسون أكواب الليمون .. ليأتى بعدها من نفسه بكؤوس الأيس كريم .. طقوس معتادة يحفظها عن ظهر قلب ويكفيهم مئونة استدعاءه لطلبها .. فالموقف يتكرر بنفس السيناريو طيلة الشهور الماضية .. قبل آذان المغرب يودعون بعضهم البعض .. تعود منى لتستقل السيارة المخصصة لتنقلاتها عائدةً الى منزل والدها فى حدائق القبة.. أشرف يصطحب شقيقته ويتوجهان ليستقلا سيارة والدهما التى يقودها أشرف للعودة الى منزلهم بشارع الحكماء بمصر الجديدة .. شرود أشرف أثناء قيادته السيارة فى طريق العودة للمنزل حكت لها عنه فيما بعد (عزة) التى كانت تمسك بيدها طرفى تلك العلاقة الصامتة بينها وبين أشرف .. فقد كانت هى سبب التعارف وهمزة الوصل وحلقة الاتصال بينهما ..

بين الرهبة .. والخجل .. !!

أخيراً قرر أشرف ان يكسر حاجز الخجل ويفاتح والده ووالدته برغبته فى بالارتباط بـ "منى" .. لكن المشكلة لم تكن فى مفاتحة أسرته فهم حتماً سيوافقون.. فمن هذا الذى يرفض ارتباط ابنه بابنة رئيس الجمهورية ؟! .. المشكلة أن العروس كانت ابنة رئيس الجمهورية .. فهل سيوافق الرئيس بسهولة على زواج صغرى بناته- التى كان يعلم تماماً من حديث شقيقته عنها أنها تحديداً دون باقى أشقائها هى الأقرب من قلب والدها .. أحبها ودللها كما لم يحب أو يدلل باقى أولاده .- من شاب عادى مثله.. لا ينتمى لعائلة ثرية .. أو على الأقل من كبريات عائلات البلد .. كان للموقف رهبته بلا شك .. وكان على أشرف أن يتجاوز حاجز الرهبة .. كما تخطى حاجز الخجل ..

وتتذكر منى لحظات صمتها أمام أبيها عندما سألها عمن يكون ذلك الشاب الذى يريد لقاءه لطلب يدها .. وعندما تغلبت قليلاً على خجلها .. تولت منى تعريف أبيها وأسرتها به ..

فى بيت الرئيس !!

شريط الذكريات مازال تتوالى صوره أمام عينيها .. وتتذكر ذلك المشهد من عام ١٩٦٦.. وبالتحديد فى منزل والدها الرئيس .. كان عبد الناصر يجلس وعن يمينه زوجته السيدة تحية .. وعن يساره ولده خالد .. وبجواره شقيقه عبد الحكيم .. فى جانب آخر من غرفة الصالون يجلس حاتم صادق زوج هدى الابنة الكبرى للرئيس عبد الناصر .. وبجواره زوجته وعن يمينها شقيقتها (منى) العروس .. أمامهم يجلس أشرف مرتدياً بدلةً زرقاء اللون وكرافت سماوياً وقميصاً أبيض .. الجميع يقرءون الفاتحة .. صوت الرئيس يعلو الجميع ..

الرئيس :- آمين .. (ينظر ناحية أشرف) مبروك يا أشرف .. (ثم ناحية منى) مبروك يا منى .. ينهض الرئيس ويقوم أشرف متجهاً نحوه.. يحتضنه الرئيس فى ود أبوى ثم يتجه ناحية منى يحتضنها بقوة .. عينا الرئيس تبرقان بالدموع .. وهو يحتضن ابنته الصغرى .. الجميع يتبادلون التهانى ..

ثانى زواج رسمى !!

بعد عدة شهور قليلة تزوج أشرف بمنى .. وكان زواجه بها هو ثانى زواج رسمى تشهده جمهورية مصر الجمهورية .. بينما كان الزواج الأول فى ٥ أغسطس ١٩٦٥ لهدى الابنة الكبرى للرئيس والعريس هو حاتم صادق نجل السيد على صادق الوكيل السابق لوزارة الزراعة .. وعمل حاتم فيما بعد بجانب عديله أشرف فى السكرتارية الخاصة للرئيس عبد الناصر.. وجاء إليها منتدباً من محل عمله الأصلى بالمخابرات العامة .. بينما جاء مروان منتدباً من محل عمله بالسرية الكيميائية التى كان قد وصل فيها إلى رتبة النقيب ..

حكاية الشاطر أشرف

كان زواج أشرف مروان ومصاهرته للرئيس الراحل جمال عبد الناصر هو بداية صعود نجمه بشكل كبير، حيث بدأ اسمه يتردد على مسامع الناس .. والحقيقة أن ارتباط أشرف مروان بمنى عبدالناصر يشبه كثيراً قصة الشاطر حسن وبنت السلطان .. مع اختلاف بسيط هو أن الشاطر حسن وبنت السلطان كانا حدوتة من حواديت ألف ليلة وليلة .. بينما حدوتة أشرف ومنى كانت من بين ثنايا الواقع .. كما أن طموح الشاطر حسن انتهى بزواجه من بنت السلطان .. بينما طموح الشاطر أشرف بدأ فقط يوم زواجه من بنت الرئيس ..

علاقة متوترة .. !!

فى البداية سارت العلاقة بين أشرف وأسرة زوجته كأحسن ما يكون .. لكنها مرت فيما بعد بالعديد من المنحنيات .. ما بين الصعود والهبوط لأسباب سيلى ذكرها فى موضعها .. وبقيت العلاقة بين أشرف وصهره الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هى الأهم .. فكيف كانت صورة العلاقة بينهما ؟؟

البعض يقولون إنه لم يكن يّكن هناك مساحة كافية من الود بين الرئيس وزوج ابنته، خاصةً من جانب عبد الناصر الذى كان كما يقولون يتعامل معه كـ « حما » .. وظل أشرف حتى آخر حياة صهره يقف أمامه مشدود الأعصاب يرتعش عندما يقف أمامه ولا يستطيع أن يتحدث معه دون أن يتلعثم .. مثلما ذكر ذلك موسى صبرى فى كتابه "السادات الحقيقة والأسطورة" .. ووصفه بأنه كان ثقيل لسان بالخلقة ..

وهنا نتساءل: لو كان ذلك صحيحاً ما الذى دفع الرئيس عبد الناصر رغم هذه العلاقة المتوترة للموافقة على إلحاق زوج ابنته بالعمل فى سكرتاريته الخاصة للمعلومات التى كان يرأسها وقتها سامى شرف ؟. كما أن منى زوجة أشرف وابنة

عبد الناصر تنفى ذلك تماماً، وبحسب ما قالته لمصطفى بكرى- فى حديث تليفوني دار بينهما و نُشر نص الحديث بجريدة الأسبوع عقب الوفاة- فإن زوجها كان يكن قدراً كبيراً من الحب والاحترام لوالدها الرئيس الراحل .. وظل وفياً لذكراه حتى نهاية حياته، وكان يناديه فى حياته "بابا جمال" وكان كثيراً ما يردد عبارة "الحمد لله .. ربنا راضى عنى .. ووالدى جمال عبد الناصر راضى عنى .. ومصر دائماً فى عينى" .. كما أن أمين هويدى رئيس جهاز المخابرات السابق أكد لوائل الإبراشى.. فى حديث خاص معه نشرته جريدة صوت الأمة بتاريخ ٢ يوليو ٢٠٠٧ .. أن عبد الناصر نفسه هو الذى أمر بنقل أشرف مروان زوج ابنته للعمل فى جهاز المخابرات لمهام خاصة، وأنه لن يستطيع أن يكشف طبيعة هذه المهام التزاماً بسرية العمل ..

أشرف بعد رحيل الزعيم !!

وهكذا لم يشغل أشرف مروان فى عهد صهره أي مناصب من الممكن أن نطلق عليها أنها مناصب حساسة .. وكذلك لم يعرف الثراء فى عهده .. بل كان منصبه فى رئاسة الجمهورية منصباً شرفياً لا أكثر .. وكان راتبه عادياً جداً لا يرفعه لمصاف الأثرياء على عكس وضعه الوظيفى والمادى فى عصر السادات .. فقد كان وهو دون السابعة والعشرين منوطاً به الإشراف على أداء بعض الوزراء.. وأسند إليه العديد من المناصب الهامة مثل عضو لجنة تطوير وصناعة الأسلحة بين مصر وليبيا .. وعضو المجلس الأعلى للمشروعات الفنية فى مجال الطاقة النووية أيضاً بين مصر وليبيا..

فى مطار لندن !!

أفاقت منى عبد الناصر من شرودها على صوت المذيع الداخلى بالطائرة يهنىء الجميع بسلامة الوصول .. كان هناك مجموعة من السفارة المصرية والجالية المصرية فى لندن، على رأسهم السفير المصرى فى انتظارهم .. بعد أقل من ساعة

كانت إجراءات الدخول الروتينية قد انتهت .. توجهوا جميعهم إلى الشقة التى سقط منها أشرف..

موت غير محدد الأسباب !!

فى الطريق كان السفير المصرى يشرح ما حدث للأسرة من خلال ما توافر لديه من معلومات .. وأنهى حديثه بقوله إن الشرطة البريطانية اختارت وصف "موت غير محدد الأسباب"، لتجعله عنواناً مبدئياً لملف القضية .. لكن الاحتمال الأقرب الذى تتعامل معه سلطات التحقيق هو "الانتحار" .. كان السفير وكأنه قد ألقى قنبلةً من العيار الثقيل على مسامع أسرة الراحل .. صرخت منى فى حدة : كيف ذلك .. أشرف لاينتحر أبداً .. لا بد أنهم قتلوه .. حاول جهاد ماضى تهدئتها.. وقال إن الأمر مازال قيد التحقيق ..

تهديدات صريحة بالقتل !!

ردّ عليه جمال مروان قائلاً .. الأمر لا يحتاج تحقيقاً .. والدى تلقى رسالة تهديد صريحة بالقتل قبل يومين فقط .. وأبلغنا جميعاً بها .. رد أحد المرافقين للأسرة من ممثلى الجالية المصرية: أبلغنا نحن أيضاً جميعاً بذلك .. الجالية المصرية جميعها لديها قناعة تامة بأن الراحل قتل .. ولم ينتحر .. وصلت السيارة إلى المبنى الذى وقع فيه الحادث ..

عمدة المصريين فى لندن !!

فوجئت أسرة أشرف بعشرات من المصريين فى انتظار وصولهم .. فبمجرد علم أعضاء الجالية المصرية بوجود عائلة أشرف فى العاصمة البريطانية .. تدافع

الجميع ليحيطوا بهم.. الكل يحاول أن يساهم بأى شيئ .. حتى ولو بالتواجد فقط بالقرب منهم رداً لكثير من أفضال الرجل .. الذى قال عنه البعض منهم إنه قد حجز لنفسه موقعاً مميزاً فى ذاكرة عدد كبير من البشر باعتباره « رجل خير» .. سخياً .. ليس فقط بعد أن استقر به المقام فى العاصمة البريطانية .. ولكن قبلها بكثير .. حيث يقول أحد زملائه بمكتب الرئيس السادات إن أشرف كان يتكفل سنوياً بإرسال العديد من الأشخاص للحج والعمرة ويتكفل بكافة نفقاتهم وإقامتهم، بدءاً من شراء ملابس الإحرام لهم، وانتهاء بثمن تذاكر السفرذهاباً وعودة .. ومرورا بكافة مصاريف إقامتهم بالأماكن المقدسة .. كل هذا على نفقته الشخصية .. وفى سرية تامة .. وطوال السنوات الطويلة التى قضاها فى بلندن كان أشرف مروان لا يتردد عن مد يد العون لكل من يحتاج إليه .. وكان يحرص على أن يظل ذلك فى الخفاء .. بلا ضجيج .. ولا مفاخرة .. وعاشت الجالية على مدار خمسة عشر عاماً- هى عمر تأسيسها- بدعم كامل من الرجل الذىعمل بكل جهده للمساهمة فى تفعيل وتنشيط أعمالها .. وكان مروان من عاداته أن يمول عمليات شحن جثامين الموتى المصريين من لندن إلىالقاهرة على حسابه الشخصى .. ويمول إفطارات شهر رمضان .. ويرسل ليستقدم من مصر خصيصاً علب الكعك وحلوى المولد النبوى الشريف ليتم توزيعها على أعضاء الجالية هناك .. ويقدم خدمات كثيرة للمصريين فى اتجاهات مختلفة .. وقطاعات متنوعة .. بدون أن يعرف أحد ذلك.. ويلخص كل ذلك أحد أفراد الجالية هناك بقوله : "كنا مطمئنين لأنه موجود .. ظهر يمكن أن نستند إليه"

لذلك استحق عن جدارة اللقب الذى أطلق عليه هناك وهو "عمدة المصريين فى بريطانيا" ..

جالية أشرف مروان !!

حتى عندما اصطدم به الآخرون كقدره دائماً .. وكان الآخرون هذه المرة هم بعض المثقفين المصريين فى لندن الذين قادوا تحالفاً ضده فى انتخابات الجالية المصرية هناك فى نهاية التسعينيات، بدعوى أنهم لا يريدون أن تكون الجالية هى جالية "أشرف مروان" .. من كثرة ما كان يقدم لها من إعانات وتبرعات .. وخاضوا الإنتخابات ضده .. وحصل هو على أعلى الأصوات .. ولكنه استقال لأن الانتخابات جاءت بمن لا يستطيع التعامل معهم .. ولم يستمرهذا المجلس عاماً واحداً .. بعدها اعترف هؤلاء بأن أشرف كان على حق وأن وجوده كان مفيداً .. وأنهم خاضوا ضده صراعاً غير مبرر ..

فى الخفاء !!

وفى غضون الثمانية أشهرالأخيرة من حياته، دفع أشرف مروان تبرعات لمرضى مختلفين سافروا إلى لندن لتلقى العلاج على نفقة الدولة، أو كانوا من المقيمين أو المبعوثين هناك، بلغت فى مجملها ٤١ ألف جنيه استرلينى .. وكان يطلب فى الأيام الأخيرة من المستشار الطبى أن يذهب معه إلى المستشفيات لزيارة المرضى.. وهو ما اعتاد القيام به دون إعلان عن شخصه .. كان يزورهم باعتباره شخصاً عادياً يطمئن على الناس .. خاصةً أن ملامحه الشكلية قد تغيرت كثيراً نتيجة للأمراض العديدة التى أصيب بها .. كما أن وجهه إعلامياً كان مجهولاً بالنسبة لمعظم الناس .. وكان فى أواخر أيامه يستعد لتمويل مشروع تسفير ستة أطباء من الخبراء البريطانيين بصحبة ثلاثة أطباء مصريين من المقيمين فى بريطانيا إلى مستشفيات ومراكز مصرية عامة .. لتقديم العلاج إجراء عمليات جراحية فى عدد كبير من المحافظات المصرية..

استطاع بعض رجال الشرطة البريطانية الذين ظلوا يحيطون بموقع الحادث.. ويفرضون سياجاً أمنياً حوله.. أن يحولوا بين أسرة مروان ومراسلى ومصورى الصحف والقنوات الفضائية الذين كانوا بانتظارهم .. واندفعوا نحوهم .. كل يحاول أن يحصل منهم على أية تصريحات خاصة .. لكنهم كانوا فى حالةٍ نفسية سيئة لا تسمح لأيٍ منهم أن يتحدث مع أحد .. منى تصعد للشقة بمساعدة بعض السيدات المصريات اللائى كن ينتظرنها أمام البناية .. جمال وأحمد ابنا الراحل يطلبان من السفير جهاد ماضى الذهاب بهما إلى حيث مشرحة مستشفى "ويست مينستر" الموجود بها جثمان والدهما .. السفير يؤكد لهم استحالة حدوث ذلك على الفور .. لابد من الحصول على إذن مسبق من جهات التحقيق .. وعدهما بحصوله على التصريح فى الغد .. صعدوا جميعهم لأعلى.

تصريحات رئاسية !!

فى نفس التوقيت كان الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك عائداً لتوه من غانا حيث شارك فى أعمال القمة الإفريقية التاسعة التى عقدت بعاصمتها أكرا .. وكعادة الرئيس المصرى فى مثل هذه الرحلات يصطحب معه وفداً من رؤساء تحرير الصحف المصرية الحكومية والمستقلة .. وفى طريق العودة جلس يتحدث معهم فى العديد من القضايا وكان على رأس تلك الموضوعات القضية التى أصبحت حديث الساعة .. وهى قضية أشرف مروان .. وقال مبارك إن أشرف مروان كان بطلاً قومياً كبيراً قدم لوطنه خدمات جليلة .. وأنه هو شخصياً كان على علم ومتابعة دائمين لكل ما يقدمه لوطنه من خدمات .. وأنه لم يكن يوماً جاسوساً لأية جهة ما على الإطلاق .. لا صحة لما تردده إسرائيل فى هذا.

الفصل الثانى

حكاية العميل بابل..

لا مستحيل فى عالم المخابرات .. !!

هل كان أشرف مروان عميلاً مخابراتياً ؟؟ .. الحقيقة أنه "لا مستحيل" فى عالم المخابرات .. فهو مثله مثل أى شخص آخر تنطبق عليه أصول اللعبة التى تقول إن أى شخص من الممكن تجنيده ليصبح جاسوساً .. لا فرق فى ذلك بين عالم .. وجاهل .. أو بين وزير .. وغفير .. فالكل لديه دائماً ما يقدمه لمن يهمه الأمر .. ويقدر ما لديه من معلومات ويدفع الثمن لذلك ..

والإجابة المؤكدة أنه كان كذلك .. والأحداث تقودنا بداية للتسليم المطلق بأنه لعب دوراً ما .. لصالح جهة ما .. فلصالح من وضد من لعب أشرف مروان دورالعميل المزدوج الذى أداه ببراعة شديدة ؟. هذا هو السؤال ..

هل لصالح مصر وضد إسرائيل .. أم العكس؟.

وبداية نستبعد تماماً أنه كان يلعب على الطرفين لصالحه الشخصى .. لأن هذا الطرح ما من وسيلة لتأكيده سوى اعتراف جهاز ما من جهازى المخابرات فى الدولتين بذلك .. وهو ما لم يطرحه من الأساس الجانب الإسرائيلى الذى تولى إعادة تقديم أشرف مروان للرأى العام العالمى باعتباره أحد عملائه .. وبالتالى لن يطرحه الجانب المصرى حتى بعد تصريحات الرئيس مبارك التى أشادت ببطولة.. وإخلاص أشرف لوطنه !!

مواصفات العميل المزدوج .. !!

لكن ماذا تعنى كلمة أو تسمية: "العميل المزدوج" ؟

فى عالم المخابرات تعنى تلك التسمية الكثير .. فهناك فى قمة الهرم المخابراتى يسكن ملوك عالم الجاسوسية .. وهم أولئك الأشخاص الذين نطلق عليهم تسمية "العملاء المزدوجون" .. اللذين يحتلون أعلى تصنيفات العملاء فى هذا العالم المثير.. وكما قلنا سابقاً إن أى شخص يمكن أن يصبح جاسوساً .. لكن بالقياس نفسه لا يصلح أى شخص للعب دور العميل المزدوج .. وتعنى التسمية أن من يحمل هذا اللقب ليس جاسوساً عادياً .. إنما هوعميل فوق العادة ويتطلب إعداده للقيام بمهامه المكلف بها تدريبات ونفقات مادية عالية .. فضلاً عن. وهذا هو الأساس فى الاختيار. امتلاكه الفطرى لقدرات خاصة من الاستعداد والذكاء الشخصى والحرص المتناهى حتى يستطيع خداع الاجهزة التى يعمل ضدها .. وعلى هذا الأساس تم تصنيف أشرف مروان كعميل مزدوج .. فهو كان يتمتع بكل هذه المواصفات الشخصية الخاصة .. فضلاً عن كونه يحتل مساحة كبيرة من الأهمية فى بلاده ..

وأوراق ملف العميل بابل .. تقودنا إلى رسم ملامح خاصة لرجل لو صح نصف ما قيل عنه لأصبح بحق- وكما وصفه فيما بعد "هوارد بلوم" الصحفى والمذيع التلفزيونى الأمريكى الشهير... والمحلل السياسى بمجله "تايم"الأمريكية. بأنه كان أكثر الجواسيس تأثيراً فى الشرق الأوسط ..

غموض الرؤية .. !!

لكن هذا لا يمنع أن الصورة غير مكتملة الأركان يعتريها الغموض فى كثير من جوانبها .. أوراقها تجعلك فى حيرة شديدة وكأنك محبوس داخل حجرة، كلما أردت أن تخرج منها ومددت يدك لتفتح بابها، وجدت نفسك داخل حجرة أخرى بابها

يقودك إلى غرفةٍ أخرى .. وهكذا بلا نهاية .. وأكبر دليل على ذلك ما قاله "شلومو جازيت" مدير المخابرات الحربية الإسرائيلية الذى تسلم مهام عمله بعد حرب أكتوبر وبالتحديد فى شهر أكتوبر ١٩٧٤، حيث أكد لجريدة معاريف الإسرائيلية بعد مصرع أشرف مروان :

"أنه قرأ بنفسه ملف أشرف مروان مرتين دون أن يستطع حسم موقف الرجل.. هل كان معهم أم ضدهم .. لكن المؤكد أنه كان هناك .. وقبض من الموساد" ..

أيهما نصدق ؟ !!

ونلتقط الخيط من تصريحات الرجل لنبدأ مناقشة الاحتمالات التى يطرحها الملف .. ونبدأ بالاحتمال الأول الذى دارت آلة الإعلام الإسرائيلية بكل قوتها فى اتجاه نشره عالمياً وهو .. أن أشرف كان عميلاً خالصاً للموساد .. فكيف ومتى تم ذلك ؟ وما هى ملامح الصورة التى تحاول المخابرات الإسرائيلية الترويج لها ؟.

وهناك روايتان مختلفتان لتجنيد أشرف مروان تحكيان كيف بدأت العلاقة بينه وبين المخابرات الإسرائيلية ..

أشرف فى عيادة طبيب يهودى .. !!

الأولى يحكيها "هوارد بلوم" فى كتابه "عشية الدمار" .. ويقول فيها إن أشرف ذهب إلى العاصمة البريطانية للعلاج من آلام فى المعدة تعتريه من آن لآخر .. واصطحب معه مظروفاً كبيراً فيه بعض أشعات وتحاليل كان قد أجراها فى القاهرة.. وحجز لدى أحد الأطباء المشهورين فى علاج أمراض المعدة والجهاز الهضمى .. وعندما دخل أشرف حجرة الكشف ناول الطبيب المظروف الذى كان يحمله .. فتح

الطبيب المظروف وتغيرت سريعاً معالم وجهه .. ثم أغلق المظروف ثانيةً ووضعه بكل هدوء على المكتب من ناحية أشرف وهو يقول له إنه قد أعطاه مظروفاً آخر غير المقصود .. فابتسم أشرف وقال له: لا خطأ فيما حدث .. فقط عليك أن توصل هذا المظروف بطريقتك الخاصة إلى السفارة الإسرائيلية .. إبتسم الطبيب ببرود شديد معتذراً أنه لا يعرف أحداً بالسفارة الإسرائيلية .. تجاهل أشرف ما فعله .. وما قاله الطبيب .. وفاجأه بقوله إنه على علم تام بعمله مع السفارة بدليل زيارة شخصية عربية كبيرة له الأسبوع الماضى فى نفسٍ العيادة، ولقائه مع "ياكوف هيرتزوج" مدير مكتب رئيسة الوزراء الإسرائيلية .. أسقط فى يد الطبيب ولم يستطع الرد .. تركه أشرف وترك له المظروف الذى كان يحمله وذهب إلى حال سبيله، بعد أن قام الطبيب بالكشف عليه وكتب له روشتة بها بعض الأدوية عملاً بنصيحة أشرف حتى يبدو الأمر عادياً ولا يشك أحد .. بعدها بعدة أيام كان أشرف يتسوق بعض المشتريات من محلات "هاردوز" عندما اصطدم به أحد الزوار وأخذ يعتذر له وهو يساعده فى التقاط ما وقع من يديه على الأرض، بينما يخبر أشرف فى نفس الوقت بأنه عليه مغادرة المكان فوراً والذهاب إلى محطة المترو القريبة من المكان، ليركب ويتوجه إلى المتحف البريطانى ليقطع تذكرة لدخول غرفة الاطلاع الرئيسية بالمتحف فهناك من ينتظره لأمرٍ هام .. فهم أشرف الرسالة وغادر مسرعاً المحل، وبينما هو فى طريقه إلى محطة المترو فوجئ بمن يحيط به ويدفعه بسرعة إلى إحدى السيارات التى كانت واقفة تنتظر بالقرب من المكان .. كان الرجل من الموساد بالطبع .. واصطحب أشرف إلى مكانٍ ما تابع لهم حيث خضع بالتأكيد للعديد من الاختبارات قبل أن يبدأ مشواره معهم .. ويؤكد بلوم أن القيادة الإسرائيلية عندما تيقنت من حقيقة أشرف اعتبرته هدية من السماء جاءتهم على طبق من ذهب .. وكانوا لا يتأخرون عن تلبية أية مطالب مالية له حتى أنهم أعطوه ما يوازى ٢٠ مليون دولار طيلة فترة عمله معهم.. هذه هى الرواية الأولى ..

لقاء السفارة الإسرائيلية ..

والثانية يحكيها "أهارون برجمان" أول من فجر القصة عالمياً بشكل مكثف .. بل اعتبرها بحسب تعبيره فيما بعد "أخطر خبطاته الصحفية" .. ويقول فى كتابه "تاريخ إسرائيل" : إنه ذات يوم وقبل ما يزيد عن ثلاثين عاماً دخل شاب أنيق إلى مقر سفارة إسرائيل بلندن ليطلب التحدث إلى مسئول المخابرات الإسرائيلية بالسفارة .. وعندما حضر رجل الموساد لم يتعرف على شخصية الزائر حتى بعد أن أسرّ له باسمه .. وقال له :-

"أريد أن أعمل لصالحكم على أن ازودكم بمعلومات لم تحلموا من قبل بالحصول عليها .. وأريد مالاً مقابل المعلومات .. وصدقني أنه سيسركم دفع المال لي" .. لكن رجل الموساد الذى لم يتخيل حجم ولا قيمة الزائر المجهول بالنسبة له حاول صرفه فقال له الشاب : عليك فقط أن تبلغ اسرائيل باسمي وسأعود الأسبوع المقبل .

ويتابع برجمان أن المسئولين في الموساد لم يصدقوا أنفسهم بمجرد ما ردد أمامهم مندوب الموساد اسم الزائر المتطوع للتعامل معهم .. فقد كانت القصة أفضل كثيراً مما يتخيلون .. بعدها سافر مسؤول من الموساد الى أوروبا وجلس مع الشاب الذى لم يكن سوى "أشرف مروان" .. وتم تجنيده .. وأصبح اسمه الحركى منذ ذلك الوقت "العميل بابل"، وتلقى خلال الأعوام التي تلت هذا اللقاء مبالغ طائلة وصلت إلى ثلاثة ملايين دولار مقابل معلومات حول مصر زود بها الموساد ..

ثقة .. بلا حدود !!

إذن نحن كما قلنا أمام روايتين مختلفتين لبداية علاقة أشرف مع المخابرات الإسرائيلية .. أجمعت كلتاهما على أن أشرف هو الذى سعى متطوعاً للتعاون مع

المخابرات الإسرائيلية .. وهدفه الحصول على المال .. والمال فقط .. بدليل قوله . ،على حسب رواية برجمان- وهى بالمناسبة الرواية الأكثر شيوعا- "إنه سيسركم دفع المال لى" أى أنه كان يعدهم بما لم يحلموا به .. كما أجمعت الروايتان أن بداية العلاقة كانت عام ١٩٦٩ .. وأن أشرف مروان استطاع أن يكسب ثقة إسرائيل بلا حدود، وتمتع بأهمية ووضعية خاصة من لحظة تيقن الجانب الإسرائيلى من شخصيته .. بينما اختلفت الروايتان فى تحديد قيمة المبالغ التى حصل عليها أشرف من الموساد.. ووفقاً لرواية برجمان أنه بدايةً من شهر فبراير ١٩٧٠، زوّدهم بمعلومات "أصبحت هى الأكثر أهمية للجانب الإسرائيلى" .. كان من بينها وثائق من غرفة القيادة المصرية نفسها .. مثل محادثات عبد الناصر والرئيس السوفييتي ليونيد بريجينيف فى موسكو يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ وما دار فيها من معلومات والتى طلب خلالها عبد الناصر من نظيره السوفييتي تزويد مصر بأسلحة متطورة وقاذفات طويلة المدى.. وكذلك نسخة خاصة من الرسالة السرية التى بعث بها الرئيس السادات للرئيس السوفيتى بريجينيف بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٩٧٢ يكرر فيها مطالب عبد الناصر ..

جسر الثقة !!

أما أهم تلك المعلومات وأبرز عوامل نجاح مروان فى إقناع الموساد بولائه .. حسبما يروي برجمان فى كتابه المشار اليه" - وهو ما ذكرته أيضاً فيما بعد جريدة معاريف الإسرائيلية فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٩..- فهى قصة أعقبت حادث إسقاط طائرة الركاب الليبية فى فبراير من عام ١٩٧٣ .. حيث كانت إحدى طائرات الركاب الليبية قد ضلت طريقها بسبب عاصفة شديدة واقتربت من الحدود الإسرائيلية .. فخشي الإسرائيليون من أن تكون الطائرة موجهة لضرب مفاعل ديمونة فى صحراء النقب فأسقطوها .. ومات كل من كان فيها وعددهم مائة وثمانية أشخاص، بينهم وزير الخارجية الليبي الأسبق صالح بو ياسر .. والمذيعة المصرية

الشهيرة آنذاك "سلوى حجازى" .. وقد ثار الزعيم الليبي معمر القذافي وحمل برج المراقبة الجوية المصري المسئولية عن انحراف الطائرة .. وطالب السادات بالرد على إسرائيل مصراً على الانتقام بإسقاط طائرة إسرائيلية .. لكن السادات خشي من أن يؤدي القيام بعمل انتقامي إلى اندلاع حرب شاملة مبكرة لم يكن مستعداً لها فى هذا التوقيت وإلى إفساد خططه الحربية التي يعد لها منذ سنوات.. فتظاهر بالتجاوب مع الزعيم الليبي وعهد إلى مروان بإعداد خطة لشن هجوم انتقامي .. فاقترح أشرف مروان أن يقوم فريق من خمسة فلسطينيين بضرب طائرة ركاب إسرائيلية أثناء إقلاعها من مطار روما بصاروخ (R . B .G[1]) .. وتم التجهيز للعملية وقيل إن الصواريخ التى تم تجهيزها للعملية تم شحنها إلى إيطاليا مخبأة داخل عدة سجاجيد حملتها منى عبد الناصر زوجة أشرف بنفسها كهدايا خاصة لبعض أصدقائها هناك.. وتمكنت من دخول إيطاليا بها ..وبالفعل أبلغ أشرف مروان الموساد بالخطة وأرشدهم عن المكان الذى تختبىء فيه المجموعة الفلسطينية المكلفة بتنفيذ العملية.. وقام الموساد بدوره بإبلاغ المخابرات الإيطالية واعتقل الفلسطينيون الخمسة فى إيطاليا قبل تنفيذ العملية.. وكسب أشرف مروان بذلك مصداقية وثقة غير مسبوقة على صعيد القيادة الإسرائيلية .. خاصةً من جانب قادة الموساد .. وتجدر الإشارة إلى أن القصة نفسها ذكرها أيضاً الصحفى الإسرائيلى "عاميت كوهين" على صفحات جريدة معاريف الإسرائيلية،تعقيباً على مصرع أشرف مروان وفى محاولة منه للتأكيد على عمالة أشرف مروان للموساد.. كما ذكرها أيضاً بشكل مختلف قليلاً صلاح الدين السعدنى الملحق العسكرى المصرى فى لبيا فى هذا التوقيت.. وذلك من خلال مذكراته.. وأضاف أن قائد المجموعة الفلسطينية كان يدعى أمين الهندى الذى يشغل حالياً منصب قائد جهاز الأمن العام الفلسطينى فى غزة.. وأن الذى قام بحمل ونقل الصواريخ إلى روما وسلمها بنفسه إلى أمين الهندى كان هو أشرف مروان نفسه الذى فكك تلك الصواريخ.. وحملها معه فى حقائب

(١) ذُكرَ فى بعض الروايات الأخرى أن الصواريخ كانت من طراز (سترلا)

دبلوماسية دخل بها الأراضى الإيطالية دون تفتيشها.. وكانت الخلية الفلسطينية تتخذ من أحد المنازل بقرية تسمى (أوستيا) بالقرب من الطريق لمطار روما مقراً لها.. وتم مهاجمة المنزل والقبض على أفراد الخلية الفلسطينية بواسطة شرطة مكافحة الإرهاب الإيطالية.. وكان ذلك يوم ٦ سبتمبر سنة ١٩٧٣.. قبل شهر واحد بالتمام والكمال من اندلاع حرب إكتوبر.

مصادر ثلاثة !!

وبمرور السنين أصبحت إسرائيل أكثر تعلقاً بالمعلومات التى يقدمها لهم أشرف، إلى درجة أنه"طالما لم يقل بابل أن حرباً ستنشب فإن شعبة الاستخبارات العسكرية لن تفكر بأن الحرب على الأبواب، حتى وإن كانت كافة الدلائل تشير إلى اقتراب نشوب الحرب" .. ويؤكد ذلك المؤلف الإسرائيلى "إبرام رابيونو" فى كتابه "حرب يوم الغفران"والذى قضى أكثر من عشر سنوات يجمع مادته من ملفات أرشيفى كل من المخابرات العامة الإسرائيلية "الموساد" والمخابرات العسكرية "أمان" .. ويقول فى الكتاب إن إسرائيل كان لديها ثلاثة مصادر على قدر كبير من الخطورة تمدها بالمعلومات الهامة عن مصر وسوريا تحديداً، وباقى دول المواجهة العربية بشكل عام، والمصادرهى : المخابرات المركزية الأمريكية .. والعاهل الأردنى الملك حسين .. وأشرف مروان ..

ترشيح !!

أما المعلومة الأخطر على الإطلاق التى قام أشرف بتسريبها للموساد بزعمهم، فهى تلك المعلومة الخاصة بتحديد يوم وساعة حرب أكتوبر قبل أقل من يومين من نشوبها .. فمن واقع ما كتبه المؤلف الإسرائيلى "برجمان" فإنه فى تمام الساعة

الواحدة والنصف من صباح الخميس (٤) أكتوبر قام أشرف مروان بالاتصال تليفونياً بمسئول متابعته فى الموساد، وقال له كلمة واحدة: "ترشيح"، وهى تعنى حسب الشفرة المتفق عليها بينهم أن الحرب على وشك القيام .. وبعدها طلب أشرف منه ضرورة تجهيز لقاء عمل فورى مع رئيس الموساد فى لندن ظهيرة اليوم التالى.. ولخطورة المعلومة قام مسؤول الموساد بالاتصال برئيس الجهاز فى منزله وأيقظه من النوم ليخبره بالأمر فقام بدوره بالاتصال بكل من موشيه ديان وزيرالحربية.. وجولدا مائير رئيسة الوزراء وأبلغهما بالأمر .. وفى اليوم التالى تم عقد اجتماع على مستوى القيادة العليا فى إسرائيل، وتم فيه الربط بين ما أبلغهم به مروان، وبين التقرير الذى حمله إليهم قائد الوحدة ٨٤٨ التابعة للمخابرات العسكرية الإسرائيلية المسئولة عن التقاط الأحاديث، أصبح اسمها فيما بعد الوحدة ٢٨٠٠ وكانت قد تابعت وتلقت تحذيرات واضحة عن مغادرة المستشارين الروس وعائلاتهم فجأة لمصر وسوريا فى نفس الليلة التى تلقوا فيها تحذير ومكالمة أشرف مروان .. وتم الربط بين الأمرين بدلالة واحدة هى أن هناك نية فعلية لدى مصر وسوريا لخوض الحرب .. وعليه انتهى الاجتماع بتكليف رئيس الموساد بالسفر فوراً إلى لندن للقاء أشرف .. وهناك التقى الاثنان فى إحدى الشقق التابعة للموساد، واستمر لقاؤهما أكثر من ساعتين أخبره مروان خلاله بأن مصر وسوريا سوف تشنان حرباً شاملة مستغلتين انصراف الجبهة الإسرائيلية وقادتها للاحتفال بعيد الغفران اليوم التالى السبت الموافق السادس من أكتوبر، وذلك قبل حلول الظلام وتحديداً فى الساعة السادسة من مساء السبت .. وأمده ببعض المعلومات الأخرى الهامة التى تتعلق بخطة العبور .. وفى نهاية اللقاء لم ينس مروان أن يذكر رئيس الموساد بضرورة تحويل مبلغ ٢٠٠ ألف دولار لحسابه السرى .. وبعد اللقاء قام رئيس الموساد بإرسال برقية للقيادة العليا هناك وصلتهم الساعة الثانية والدقيقة ٤٠ من صباح السادس من أكتوبر كان محتواها كالآتى :

"الصفقة التجارية ستتم اليوم بتوقيع العقد مع حلول الظلام"

خداع استراتيجى ..!!

بعدها بساعة بالضبط كان "إسرائيل ليور" المستشار العسكرى لجولدا مائير يسلمها البرقية .. وفى تمام الرابعة والنصف صباحاً كان موشيه ديان يقلب البرقية فى يده وهو جالس أمامها يسأل نفسه: هل المصريون جادون فى فعلها حقاً هذه المرة .. أم أن سيناريو ما حدث قبل أقل من ١٥٠ يوماً وبالتحديد فى ١٥ مايو من العام نفسه سوف يتكرر هذه المرة أيضاً .. بعد أن تسببت برقية مشابهة من قبل فى تكبدهم ما يزيد عن ٤٥ مليون دولار التهمت حوالى ٤٠ ٪ من ميزانية إسرائيل لتعبئة ونشر قواتها بطول القناة ثم سحبها مرةً أخرى من خطوط المواجهة وفقاً لخطة عرفت باسم "أبيض وأزرق" ؟!. كان الأمر بلا شك محيراً للغاية لدى القيادة الإسرائيلية .. وكان فى مخيلتهم التحذير السابق الذى وصلهم من قبل فى ربيع عام ٧٢ عبر أشرف مروان أيضاً محذراً بشدة من حرب لم تحدث .. ويقول برجمان إن ذلك كان بمثابة الخدعة الأخرى التى أوقعهم فيها الرجل لأن الحرب لم تبدأ مع حلول الظلام .. بل اندلعت بالفعل قبلها بأربع ساعات فى تمام الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم التالى،وهى فترة كانت كافية لتحقيق النصر المطلوب حيث لم يتمكن الجيش الإسرائيلي من إتمام تعبئة قواته، بعد أن بدأت القيادة الإسرائيلية ذلك بالفعل فى العاشرة من صباح السادس من أكتوبر ..

احتمالات أخرى !!

ونتوقف قليلاً لنقرأ تلك الأحداث من زاوية أخرى .. ونتساءل: هل كان أشرف مروان يتصرف من تلقاء نفسه ورغب أن يمسك العصا من المنتصف ويكسب ثقة الإسرائيلين، وفى نفس الوقت لايسرب موعد الحرب الصحيح حتى لا تأخذ إسرائيل حذرها ؟ .. فى هذه الحالة سيكون احتمال كونه يعمل لصالحه فقط هو الاحتمال الأقرب للتصديق .. لكن سوف نساير مؤقتاً الادعاء بعمالة أشرف مروان للموساد وتسريبه لموعد الحرب لنرى إلى أين ستقودنا احتمالاته ..

الذراع اليمنى للسادات .. !!

ونعود لبرجمان ونتوقف هذه المرة عند كتابه الأول الذى صدر عام ١٩٩٩، بعنوان حروب إسرائيل" ISRAEL's WARS " وتعرض فيه برجمان أيضاً لقصة ذلك الشخص المجهول الذى وصفه فى كتابه بأنه "الذراع اليمنى للسادات" .. وكان أشرف هو المقصود.. فهل لم يكن السادات وهو رئيس جمهورية يعرف أين يروح ويجئ ذراعه اليمنى ويتركه هكذا يسافر إلى لندن قبل اندلاع الحرب بـ ٢٤ ساعة فقط، دون أن يعرف عنه شيئاً حتى وإن كانت مهام عمله فى الرئاسة بعيدة تماماً عن المؤسسة العسكرية ؟!.. وهل يحتاج إبلاغ أشرف للموساد بتفاصيل ساعة الصفر ذهابه خصيصاً إلى لندن فى مثل هذا التوقيت الهام والحساس، الذى يتطلب بقاءه بجوار القيادة التى كان يشغل بها آنذاك منصباً غاية فى الأهمية، وكانت تعيش فيه مصر كلها حالة قصوى من الاستنفار والتعبئة فى كل المجالات تمهيداً ليوم الغد الحاسم؟!

كيف خرج من المطار ؟ .. !!

وكيف غادر أشرف القاهرة إلى لندن يوم ٥ أكتوبر، والثابت تاريخياً أن السادات قد أصدر أوامره فى نفس اليوم بإغلاق المطار .. ألم يذكروا فى رواياتهم المتعددة ومن خلال الملفات التى أفرجوا عنها فيما بعد بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على حرب أكتوبر، أنه قد أبلغ متابعيه فى الموساد تليفونياً بموعد الحرب وتبقى بعض التفاصيل التى كان من الممكن إبلاغهم بها وهو فى مكانه بالقاهرة بأى شكل، إذ لن يعدموا لقاءه واستلام أومعرفة هذه التفاصيل بصورة أو بأخرى، بدلاً من أن يعرّض نفسه للخطر بالسفر إلى لندن ولقاء رئيس المخابرات الإسرائيلية نفسه فى شقة مملوكة للموساد، فى وقت كانت بلا شك أعين المخابرات المصرية فى أشد حالات انتباهها ويقظتها، لأنها كانت تعيش لحظات فاصلة فى تاريخ بلد يستعد منذ سنوات لذلك اليوم .. الخلاصة أنها رواية غير منطقية وغير مقبولة على الإطلاق ..

الضوء الأخضر !!

التفسيرالوحيد لهذه القصة من بداياتها إلى نهاياتها- بفرض حدوثها- يكمن فى أن أشرف مروان كان يعمل لصالح المخابرات المصرية .. وأن القيادة المصرية أعطت أشرف الضوء الأخضر ليبلغ الإسرائيليين ذلك .. فسفر أشرف إلى لندن للقاء مسئول الموساد فى هذه الساعات العصيبة، لابد أنه كان بعلم وتخطيط خاص من القيادات العليا بل ومن السادات شخصياً .. وأنه كان بذلك موفداً فى مهمة خارجية سرية لا تقل خطورة عن المهام التى كانت كل القيادات فى مصر تقوم بها فى الوقت نفسه لوضع اللمسات الأخيرة للمعركة الفاصلة التى كانت ستندلع بعدها بعدة ساعات ..

مغامرة غيرمحسوبة .. !!

وهذا يقودنا إلى تحليل آخر قد ينسف هذا الطرح من أساسه ليؤكد كذب الجانب الإسرائيلى فى هذه الرواية .. وهو هل كانت أربع ساعات كفيلة فى ذهن القيادة المصرية لتحقيق الانتصارالذى يسعون إليه ؟!. وهل لا تكفى فى نظر القيادة المصرية أربعون ساعة كانت تفصل بين إبلاغ أشرف أول مرة لمسئول متابعته فى الموساد تليفونياً بموعد الحرب واندلاعها، حتى يأخذ الجانب الإسرائيى احتياطاته اللازمة ويعد للأمرعدته ؟!. بل ويتمكن مثلاً من القيام بهجوم مضاد ينهى المعركة قبل أن تبدأ ؟!. ألا يعتبر ذلك نوعاً من المغامرة غير المحسوبة من جانب مصر قد تؤدى فى النهاية وفى لحظة واحدة لضياع مجهود وإعداد دام سنوات ؟؟

إذن يبقى الادعاء بأن أشرف قد سرب موعد وساعة حرب أكتوبر بالتحديد أمراً غيرمنطقى، خاصةً مع تأكيد الرئيس المصرى حسنى مبارك فيما بعد أن ساعة الصفر لم يكن هناك من يعرفها سوى خمسة أشخاص فقط ذكرهم بالاسم، ولم

يذكر بينهم أشرف مروان .. وبالتالى لم يكن من الطبيعى ولا من المنطقى حتى بزعم قربه الشديد من الرئيس السادات أن يطلعه عليها .. لكن من الممكن أن يكون قد استطاع إقناع الجانب الإسرائيلى بقدرته على ذلك وفقاً لتدبير مقصود من الجانب المصرى .. خاصةً أنه إن ثبت الادعاء الإسرائيلى فى هذا الشأن، فيكون بذلك وقع الهزيمة أصعب، لأنهم تم تحذيرهم منها ولم يستطيعوا تجنبها أوعلى الأقل تخفيف صدمتها، وكانت هزيمتهم فيها منكرة .. فكيف كان سيصبح وقعها عليهم إذا لم يتم تحذيرهم من الأساس؟! .. ولوكان قد توافر معلومات لدى القيادة الإسرائيلية تحدد موعد الحرب مثلما يدعون، لكان الجيش الإسرائيلى سيستعد أقل درجات الاستعداد من باب الاحتمالية .. لكن وضع الجنود والجيش الإسرائيلى لحظة العبور كان يؤكد العكس تماماً .. فعندما كان المصريون يعبرون القناة .. كان الجنود الإسرائيليون بالمايوهات والشورتات .. يلهون ويلعبون على الشاطئ الشرقى منها ..

من يصدقهم .. !!

وبعض المؤرخين والكتاب الإسرائيليين مقتنعون تماماً أن أشرف من المستحيل أن يكون قد صرح للجانب الإسرائيلى بموعد الحرب، وهو ما يؤكده البروفيسور اليهودى أوربريوسف فى كتابه "المشاهد الذى نام" .. والأهم أن مسار حرب أكتوبر فيما بعد ينفى تماماً مزاعمهم فى هذا الشأن .. فما حدث فى السادس من أكتوبر ٧٣ كان بمثابة صفعة كاملة لجميع الأجهزة الأمنية والمخابراتية الإسرائيلية .. حيث لم يعرف التاريخ خطة حرب استراتيجية مكونةً من ٤٠ بنداً مختلفاً على كافة الأصعدة المدنية والعسكرية والمخابراتية، مثلما حدث فى معركة العبور التى مازالت تدرس إلى يومنا هذا فى العديد من المعاهد العسكرية العالمية المختلفة ..

بين النفى والتأكيد .. !!

والسؤال الآن : من يستطيع أن يؤكد أوينفى تلك المعلومة القادمة من ملفات جهاز مجروح فى كفائته العملية .. وُقِعتّ شهادة وفاته فى اليوم الذى لن ينساه وهو السادس من أكتوبر ١٩٧٣ودفن جثمانه فى قبر الهزيمة المرة متًكفناً بالفشل الذريع لبطولاته الوهمية؟!.

حكاية الملك حسين !!

ويقال إن هناك معلومات مؤكدة وصلت لاسرائيل عن موعد قيام الحرب عن طريق الملك حسين، ويقول أوربر يوسف فى كتابه إن العاهل الأردني التقى برئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير في مقر الموساد بتل أبيب يوم الخامس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٣ ، وحذرها من أن العرب يعدون لحرب وشيكة .. ونرفض أيضاً ما يتردد فى هذا الشأن من أن هذه المعلومات وصلت من الملك حسين أو أى حاكم عربى آخر.. فأى حاكم مهما بلغ به الاستهتار وعدم تقدير الأمور لا يصل به الحال الى هذه الدرجة .. فما هو الدافع الذى يدفع مثل هذا الحاكم الى إخبار اسرائيل بذلك .. هل يطمع فى العمل مع الموساد مثلاً وأن يكون تحت حمايتهم؟؟ .. أم كان يطمع فى أموالهم؟! .. وكلا الاحتمالين يبلغ من التفاهة وعدم المنطقية حداً يجعلنا نسخر ممن يرددونه بالإضافة إلى أن الملك حسين لم يكن من السذاجة ليسافر إلى تل أبيب ويدخل بقدمه مبنى الموساد لمقابلة رئيسة الوزراء..

أين .. ومتى تم تدريب أشرف ؟!

والتساؤل البديهى هنا: كيف سارت العلاقة بين أشرف مروان والموساد خلال الفترة منذ بداية تجنيده عام ١٩٦٩ والتاريخ المشار إليه فى رواية برجمان فبراير ١٩٧٠؟ .. هل قضى أشرف مروان تلك المدة مثلاً كفترة تدريب لإعداده من جانب الموساد بالشكل

الذى يتناسب مع أهميته المشار إليها بالنسبة لهم .. وأين تم تدريبه؟.. هل فى القاهرة ؟ .. أم فى بلد آخر "لندن" مثلاً التى تم تجنيده فيها ويتواجد بها الفروع الخارجية الرئيسية لمعظم أجهزة المخابرات فى العالم ومن بينها الموساد بالطبع؟.. وسواء كان هنا أم هناك أم فى أية دولة أخرى لم يكن أشرف مروان يستطيع مغادرة مصر أو التحرك داخلها أو خارجها بسهولة، نظراً لحساسية عمله فى مكتب صهره الرئيس عبد الناصر الذى كان وقتها على قيد الحياة .. عموماً فات الروايات الإسرائيلية على تعددها أن تجيب لنا عن هذا السؤال .. لأن المؤكد أنه مثله مثل أى جاسوس يدخل عالم الجاسوسية للمرة الأولى يجب أن يتم تدريبه بالشكل الذى يتناسب مع الدور المنوط به تأديته .. وتبعاً لأهميته الشخصية بالنسبة للجهاز الذى يتجسس لصالحه،وأشرف مروان باعترافهم أنفسهم كان على قمة الهرم من الأهمية بالنسبة لهم..

أوهام الموساد !!

وإذا قيل إن الاختراق وصل إلي داخل بيت الرئيس وأسرته .. ثم مكتب الرئيس السادات ومكاتب كل الحكام العرب عن طريق نفس الشخص كما يدعون .. فما هى إمكانية حدوث ذلك ؟ .. الإجابة الوحيدة أنه ما كان الموساد أوغيره من أعتى أجهزة المخابرات بقادرعلي اختراق المؤسسة الرئاسية لأية دولة بهذه السهولة .. فإن اختراق المؤسسة الرئاسية ليس بالشيئ الهين ولا اليسير، وإنما يخضع كل من يحاول الاقتراب من تلك المؤسسة سواء فى مصر أو فى أية دولة أخرى للتشريح الأمنى والمخابراتى بشكل غير عادى .. وتلك القصة فى مجملها ما هى إلا حلم حاول الموساد مراراً وتكراراً الوصول إليه وتحقيقه من قبل، إلا أن الفشل الذريع كان دائماً هو مصير تلك المحاولات .. فحاولوا أن يحققوا بالادعاء الكاذب ما فشلوا فيه على أرض الواقع .. والقصة التالية هى الأشهر فى هذا السياق ونسوقها للتأكيد على أن ذلك مستحيل الحدوث بهذا الشكل الساذج ..

جاسوس فى قصر الرئيس !!

وكان بطل تلك القصة شخص يدعى "د.على العطفى" وهو المدلك الخاص للرئيس أنور السادات.. وأشهر طبيب علاج طبيعى فى مصر أثناء فترة السبعينيات.. وأول عميد للمعهد العالى للعلاج الطبيعى .. وبوسيلة أو بأخرى تم ترشيحه للرئيس السادات ليعمل لديه كمدلك خاص .. وبدأ الرجل يدخل ويخرج على الرئيس فى منزله ومكتبه بحرية شديدة .. لكن أجهزة المخابرات المصرية لم تكن لتترك أى شخص يتمتع بهذه القرب من المؤسسة الرئاسية دون أن تبحث وتفتش وراءه .. وكانت المفاجأة التى صعق السادات وهو يسمعها من رئيس جهاز المخابرات المصرية أن شهادة الدكتوراه التى يحملها العطفى من إحدى الجامعات الأمريكية مضروبة ولا أصل لها فى السجلات الجامعية هناك .. وتم تجنيده فى امستردام بهولندا بعقد صفقة خاصة معه تقضى بمنحه شهادة دكتوراه فى تخصصه مقابل العمالة للموساد .. وهو ما وافق عليه فوراً .. وعقب عودته الى مصر انضم بموجب شهادة الدكتوراة المزورة إلى طاقم التدريس بكلية التربية الرياضية .. وتدرج فى مناصبه التدريسية حتى أصبح أول عميد للمعهد العالى للعلاج الطبيعى بعد تأسيسه وأشهر طبيب علاج طبيعى فى مصر .. ثم انضم لطاقم أطباء الرئيس وأسرته وأصبح مدلكاً خاصاً له قبل أن تُكتشف حقيقته ويتم تقديمه للمحاكمة، حيث حكم عليه فى البداية بالإعدام شنقاً بتهمة الخيانة العظمى.. وعندما كان السادات يجلس مع الوفد المصرى وأمامه مناحم بيجين رئيس الوزراء الإسرائيلى لوضع البنود النهائية لاتفاق كامب ديفيد، فوجئ السادات ببيجين يشترط عليه أن يتم تسليم على العطفى للسلطات الإسرائيلية كأحد أهم شروط الاتفاق .. وعندها مد السادات يده وتناول غليونه وبدأ يشعله على طريقته الشهيرة وهو ينظر لرئيس المخابرات المصاحب له فى الوفد المصرى نظرة ذات مغزى(١) .. وفكرهنيهة ونظره يتنقل بين الاثنين: مناحم بيجين الذى كان ينتظر رده .. ورئيس المخابرات الذى ينتظر قراره .. وعندها قال السادات لبيجين، وهو ينظر ثانية لرئيس المخابرات إن طلبه جاء متأخراً فقد تم بالفعل تنفيذ حكم الإعدام فى العطفى فى اليوم نفسه..

(١) كان رئيس المخابرات المصرية المصاحب للرئيس السادات فى وفد مباحثات كامب ديفيد هو السيد/ كمال حسن على وزير الدفاع ورئيس الوزراء المصرى فيما بعد..

إعدام بالتليفون .. !!

ولحظتها استأذن رئيس المخابرات ليخرج من الاجتماع لأمرٍ ما .. وبمجرد خروجه قام على الفور بالاتصال بنائبه فى مصر وأمره بالتحفظ على (على العطفى) فى أحد السجون السرية وإشاعة أنه قد تم إعدامه فى نفس اليوم صباحاً بين صفوف باقى نزلاء سجن طرة حيث كان يقيم.. وذلك حتى يستطيع السادات أن يستغل العطفى ككارت ضغط مستمر على الجانب الإسرائيلى عاد على أثرها رئيس المخابرات ليرد على نظرة السادات السابقة له؛ بنظرة أخرى كان مضمونها ما يريده السادات الذى لم يكن ليسمح لإسرائيل أن تفاوضه على استعادة مواطن مصرى الجنسية تجسس لصالح إسرائيل وكان من بين الأهداف الرئيسية لتجنيده اغتيال السادات شخصياً بكريم خاص كان الموساد على وشك تسليمه إياه..

وقاحة وأكاذيب العطفى !!

بلغ من وقاحة على العطفى أنه أثناء إقامته بالسجن كان يتباهى بعمالته للموساد، وادعى أنه كان مدلكاً خاصاً لعبد الناصر قبل السادات، وأنه هو الذى تسبب فى موته عن طريق تدليك جسده بنفس الكريم.. وهو ما ثبت كذبه بدليل أن جهات التحقيق تجاهلت الموضوع برمته ولم تلتفت إلى ادعاءاته الكاذبة.. [١]

وانقلب السحر على الساحر !!

أما اتهام أشرف مروان بالعمل كجاسوس لصالح إسرائيل .. فهو أمر تعتريه شكوك كثيرة للأسباب الآتية :

---

(١) إنظر القصة الكاملة لعلى العطفى فى كتاب (جاسوس فى قصر الرئيس) الصادر عن دار الكتاب العربى.. لنفس المؤلف.

أن الذي كشف النقاب عن عمل مروان كجاسوس لحساب إسرائيل .. هى مصادر إسرائيلية .. مدعيين أنه قدم لهم خدمات جليلة .. وهو أمر يثير الريبة.. فمن المستحيل أن تكشف مصادر مخابراتية عن عملائها العاديين .. فما بالنا بشخص فى قدر وأهمية مروان ؟!. بل العكس هو الصحيح .. فالمفروض فى مثل هذه الحالات أن يحاط الرجل بأكبر قدر من السرية .. والحماية، على الأقل مكافأةً له على ما أسداه لهم من خدمات يزعمون أنها كانت جليلة.. والأرجح أن تكون إسرائيل قد قصدت من هذا التسريب المتعمد .. ضرب عدة عصافير بحجر واحد، لتشويه النظام المصري بكل رموزه .. خاصة الحقبة الناصرية .. ودفع المخابرات المصرية للكشف عن بعض أوراقها أو أساليب عملها .وتحسين صورة الموساد التى تتدهور كل يوم.

كما أن الكشف عن هذا الملف تم في سياق صراع غير مسبوق (سيلى توضيحه فى موضعه) بين "إيلي زعيرا" .. رئيس المخابرات العسكرية .. و "تسيفي زامير" .. رئيس الموساد .. وكلاهما كان يشغل أثناء حرب أكتوبر منصباً على درجة عالية من الأهمية والخطورة، ومَثَّلاً معاً جناحى أجهزة المخابرات الإسرائيلية مما اقتضى أن تتسم طبيعة العلاقة بينهما بالتعاون والتكامل .. وليس الخلاف والصراع الذى وصل لساحات المحاكم وشاشات التليفزيون .. وصفحات الجرائد .. بعد أن قام تسيفى زامير[1] برفع دعوى مباشرة أمام المحكمة المركزية فى إسرائيل، يتهم فيها إيلى زعيرا رئيس وحدة الاستخبارات العسكرية فى الجيش الإسرائيلي أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ بالإساءة إلى جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد"، والإساءة إليه– زامير–هو شخصياً، ومطالباً بتعويض مليون شيكل عما سببت له إساءات زعيرا من أضرار نفسية وأدبية كبيرة باتهامه لزامير بأنه ضلل عن عمد القيادة الإسرائيلية فى حرب ٧٣ مما ألحق بإسرائيل أضراراً فادحة .. إلا أن المحكمة نفت عن زاعيرا التهمة .. ولحساسية القضية أحالتها المحكمة إلى لجنة خاصة للفحص برئاسة قاضى محكمة العدل العليا الإسرائيلية السابق "تيودور أور" ..

(١) هو واحد من أشهر من رأسوا جهاز الموساد وتولى تحديداً رئاسته فى الفترة ما بين عامىّ (١٩٦٨– ١٩٧٤).. وهو من أصل بولندى هاجرت به أسرته إلى تل أبيب عام ١٩٢٥ وكان عمره وقتها سبعة شهور فقط.. وبعد أن كُبرّ التحق بالجيش الإسرائيلى وشارك فى حرب ١٩٤٨ ووصل إلى رتبة ميجور ثم عمل كملحق عسكرى بالسفارة الإسرائيلية فى لندن عام ١٩٦٦

وليس من المعقول أن يكون كلا المسئولين الصهيونيين قد تصرف على هذا النحو من تلقاء نفسه، بل الاحتمال الأقرب للتصديق هو أن كل هذا قد تم وفق خطة موضوعة بدقة شديدة من الدولة التى يمثلانها معاً للتعتيم على إخفاقات جهازهم المخابراتى المتكررة .. وكمحاولة لاستعادة الثقة فيه من جانب الشعب الإسرائيلى والرأى العام هناك .. ولكن انقلب السحر على الساحر .. وخسروا بقصتهم المزعومة تلك أرضاً جديدة كانوا فى أشد الاحتياج إليها، فى هذا التوقيت الذى توالت عليهم فيه الضربات الموجعة مخابراتياً بسقوط العديد من عملائهم فى قبضة المخابرات المصرية مثل عزام عزام .. وفائقة مصراتى ووالدها .. و شريف الفلالى الذى توفى فى محبسه بعد مصرع مروان بأيام قليلة .. والعطار وغيرهم ..

١٤٠ جلسة استماع .. !!

ثم لماذا تعاملت إسرائيل مع عميل وصفته المحكمة العليا هناك فيما بعد بأنه زرع فى نفوسهم نوعاً من عدم الثقة فيما يبلغهم به من معلومات خاطئة بخصوص موعد الحرب ؟. حيث خلصت المحكمة من خلال اللجنة الخاصة التى أمرت بتشكيلها برئاسة «شيمون أجرانات»- الرئيس السابق للمحكمة العليا فى إسرائيل والذي عهد إليه بالتحقيق فى الهزيمة أمام القوات المصرية عام ١٩٧٣- وعلى مدار ١٤٠ جلسة استماع عقدتها المحكمة، إلى أن أشرف مروان واعتبارا من عام ١٩٧٢ قام بإبلاغ إسرائيل ثلاث مرات بمواعيد خاطئة لإندلاع الحرب .. فهل كان هذا هو الدور الحقيقى المكلف به أشرف مروان وهو العمل على استنزاف إسرائيل مادياً وتكبيدهم خسائر فادحة عن طريق تعبئة وفض الجيش من وقت لآخر .. كنوع من الحرب الإستراتيجية .. التى نجح فيها المصريون بإعتراف الإسرائيليين على لسان العديد من قادتهم مثل جولدا مائير وموشيه ديان وغيرهما فى مذكراتهم الخاصة التى أعقبت الحرب وهى بالعشرات؟! .. وثم لماذا لم يذكرهؤلاء حرفاً واحداً عن حكاية أشرف مروان .. ولم يشيروا إلى شخصه .. أو حتى أحد أسمائه الكودية "الصهر" .. أو "العميل بابل" .. أو غيرها ؟ !.

كما أكدت تحقيقات اللجنة المشار إليها أن أشرف مروان ذهب بنفسه فعلاً إلى السفارة الإسرائيلية فى حي كنجستون بلندن عام ١٩٦٩ أثناء حياة الرئيس عبد الناصر، ودخل السفارة وقال إنه يعرض خدماته عليهم وقد أثارهذا تعجب الإسرائيليين أنفسهم لمعرفتهم بأن السفارة مرصودة جيداً .. فكيف لشخص مثله أن يغامر حتى بالاقتراب منها ؟؟ .. وكيف لم يعرفه مندوب جهازهم المخابراتى من اللحظة الأولى وهو الشخص الذى كان ملء السمع والبصر فى بلده مصر، وصوره تملأ الجرائد والمجلات من لحظة ارتباطه بابنة الرئيس، الذى كانوا يرصدون ويتابعون كل المحيطين به ومن الطبيعى أن يكون لديهم ملفات خاصة عن كلٍ منهم..

أشرف يركب بساط الريح .. !!

بفرض أن هذا اللقاء المزعوم الذى تم فى مبنى السفارة الإسرائيلية بلندن حدث بالفعل فهل كان بين أشباح .. حتى لا ترصده المخابرات المصرية ولا أى من أجهزة المخابرات الأخرى التى تتخذ من العاصمة البريطانية مسرحاً لاتتوقف عليه عروضها المخابراتية طوال الوقت؟!. ولا حتى المخابرات البريطانية وهى واحدة من أقوى أجهزة المخابرات فى العالم ؟!.. والتى تشير وثائقها الرسمية [1]فيما بعد إلى معرفتها الجيدة بالرجل ومتابعتها له من بعيد مع توصية شديدة بإخفاء إسمه وذلك وفقاً للبرقية التى أرسلها السير "ريتشارد دبيمونت" (السفير البريطانى فى القاهرة فى فترة السبعينات) إلى قسم إستقبال البرقيات الفورية بالخارجية البريطانية، وذلك تحديداً فى ٢٥ أغسطس ١٩٧٢ والتى حملت رقم ١٢٢٣ بشأن ما أسفرت عنه زيارة السيد "ريجنالد أندرسون" مسئول مبيعات الأسلحة مع الجانب المصرى حيث حضر تلك المفاوضات الرئيس المصرى السادات ومعه الفريق محمد صادق وزير الحربية ومروان، الذى لعب دوراً هاماً فى الاتفاق بين الجانبين وترتيبات ما قبل وبعد زيارة

١- انظر صورة الوثيقة فى الملحقات .

الوفد الإنجليزى.. ويوصى السفير البريطانى رؤساءه الذين تلقوا البرقية أن يظل اسم أشرف مروان سرياً فى حالة تبادل البرقية مع أماكن أخرى .. وبين السطور لم يكن خافياً نبرة السفير البريطانى التى تفيض إعجاباً بهذا الشاب الصغير الذى استحوذ على ثقة السادات، ودوره الهام معه فى تأمين صفقات السلاح مع بريطاني..

٢٤ ساعة مراقبة .. !!

التعقيب الوحيد لنا على ذلك وعلى ما أكدته تحقيقات المحكمة الإسرائيلية المشار إليها سابقاً أن شخصية بمركز ووضع أشرف مروان فى الحكومة المصرية وقتها ويتمتع بحصانة دبوماسية كانت تجعل مثله خاضعاً طوال فترة إقامته بأية دولة يذهب إليها للمتابعة الأمنيةً على مدار ٢٤ ساعة، ما كان يستطيع أن يتحرك بكل هذه الحرية ويذهب هكذا بمنتهى السهولة إلى مقر السفارة الإسرائيلية فى لندن، والتى بحسب الرواية الإسرائيلية كانت مأمنة تماماً مثل غيرها من باقى السفارات الأجنبية بالعاصمة البريطانية أوغيرها وتخضع للمراقبة المخابراتية والأمنية المستمرة طوال ٢٤ ساعة.. فكيف لم يلحظ أحد ذلك .. خاصةً أن الشخص الذى ذهب للسفارة لم يكن كما قلنا شخصاً عادياً ؟!. الاحتمال الذى فات الموساد عند ترويجهم لتلك القصة والذى كان من الممكن أن يلقى ببعض ظلال من المصداقية عليها أن أشرف مروان ذهب إلى هناك متنكراً .. لكن المؤكد أنه لم يكن لابساً لطاقية الإخفاء .. أو هبط إليهم فى سفارتهم هناك على بساط الريح ..

و هبطت الصاعقة على رؤوسهم .. !!

لماذا فوجئ قادة إسرائيل مثل جولدا مائير وموشى ديان وغيرهم بخبر الحرب التى أفقدتهم أعصابهم فلم يكن لديهم أدنى علم عن ساعة الصفر .. وإذا كان أشرف مروان قد أبلغهم بموعد الحرب قبلها بـ ٤٨ ساعة .. ولماذا لم يأخذوا حذرهم على الأقل من باب الاحتياط كما قلنا سابقاً ؟ ..

ولماذا وافق هؤلاء القادة على أن يعقد الجنرال "إلياهو زاعير" رئيس أركان الجبهة الجنوبية الإسرائيلية مؤتمراً صحفياً خاصاً قبل الحرب بساعة واحدة .. ليؤكد خلاله للصحفيين الإسرائيليين أن أنباء الحشود المصرية كاذبة .. وأثناء المؤتمر جاءته ورقة صغيرة نزلت عليه كالصاعقة أخرسته تماماً ليهرول من مكانه كالمجنون تاركاً المؤتمر الصحفى الذى دعا بنفسه إليه .. ويلقى فى عصبية شديدة بالورقة التى كانت عبارة عن برقية مضمونها أن المصريين يعبرون الآن قناة السويس.. وقام أحد الصحفيين بالتقاط الورقة وتلاوة ما جاء بها على باقى الصحفيين؟!.

أجمعت معظم الكتابات العالمية التى صدرت عن الشرق الأوسط وتناولت حقبة السبعينيات[1] أن قادة أمريكا فى ذلك الوقت مثل نيكسون وكيسنجر- الذى كان يقضى الويك إند بأحد فنادق نيويورك- تم إيقاظهم من النوم لإخطارهم باندلاع الحرب .. مما يؤكد جهل أجهزتهم المخابراتية تماماً فى هذا الشأن .. ولو كان الموساد لديه علم بالموعد لكان القادة الإسرائيليون قد أبلغوا نظراءهم الأمريكان بالموقف.. فلم تصعقهم المفاجأة .. التى حملت إليهم أنباء ما لم يكونوا يتوقعون حدوثه على الأقل فى هذا التوقيت .. ولولا الجسر الجوي الذى أرسلته القيادة الأمريكية فيما بعد لنجدة حليفتها فإن الحرب وفق جميع الاحتمالات كانت ستنتهي بهزيمة كاسحة ودمار شامل لما يسمونه دولة إسرائيل .. وهى لم تكن بالهزيمة البسيطة .. فعلى قدر المفاجأة وقسوتها .. وقوتها .. كان الانتصار متجاوزاً كل الحدود المتوقعة .. والذى كان بحسب وصف "برجمان" فى كتاب تاريخ إسرائيل :

"كان انتصاراً ساحقاً فى البداية مما أغرى الرئيس المصرى أنورالسادات بتحويل هدفه الأساسى الذى خطط له سابقاً من حرب محدودة فى سيناء لا تتجاوز أهدافها العبور إلى الضفة الشرقية للقناة .. ثم التوغل داخل سيناء عدة كيلومترات

١- راجع كتاب "من يجرؤ على الكلام" للكاتب العالمى بول فندلى..وكتاب "وتحطمت الأسطورة عند الظهيرة" للكاتب الراحل أحمد بهاء الدين..

لإقامة تحصينات واتخاذ مواقع يستطيع الجيش المصري الدفاع عنها اعتماداً على منظومة الدفاع الجوي التي كانت قادرة على صد القوات الجوية الإسرائيلية.. وحوَّل أهدافه إلى شن حرب شاملة على إسرائيل .. فتقدمت القوات المصرية في سيناء خارج نطاق دفاعاتها الجوية .. مما عرضها لضربات جوية مباغتة من الجانب الإسرائيلى وساهم فى فتح الثغرة التي عبرت منها القوات الإسرائيلية بقيادة الجنرال أرييل شارون إلى الضفة الغربية من قناة السويس" ..

وهو ما يتفق مع وجهة نظر عبر عنها الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان الجيش المصري إبان الحرب .. فى مقابلة أجريت معه عام ١٩٩٨ بمناسبة مرور ربع قرن على معارك أكتوبر .

سيناريو مختلف .. !!

احتمال مختلف وجديد تماماً نطرحه عبر هذا التساؤل .. وهو: لماذا لا تكون المخابرات الإسرائيلية هى التى سعت وراء أشرف مروان لتجنيده وإقناعه بالعمل لحسابها مستغلين فى الشاب طموحه الملحوظ سياسياً ومالياً ؟!.

وبناءاً عليه نعيد قراءة ملف القضية من زاوية أخرى وهى:

فى حياة ناصر .. فهل كان بتخطيطه ؟ !!

إذا كان أشرف مروان هو الذى سعى للعمل لصالح إسرائيل كما تقول رواياتهم التى أكدت جميعها على أن علاقة أشرف والموساد بدأت عام ١٩٦٩ ، أى كما قلنا فى حياة صهره الرئيس الراحل عبد الناصر .. الذى تم إلحاق أشرف مروان للعمل بجهاز المخابرات بناء على أوامر خاصة منه لرئيس الجهاز وقتها "أمين هويدى" الذى ذكر أن أشرف كان مكلفاً بمهام سرية لا يستطيع التصريح بها .. فهل كان السيناريو

منذ البداية بعلم وربما بتخطيط من الرئيس عبد الناصر نفسه الذى اختار زوج ابنته ليلعب هذا الدورالهام .. وبعد وفاة الرئيس عبد الناصر استكمل الدور بمعرفة ومتابعة الرئيس السادات نفسه.. بعد أن سعت إليه المخابرات الإسرائيلية .. فى حياة عبد الناصر أوبعد وفاته و طغت وطنية أشرف على مشاعره وأخبر الرئيس - أياً كان السادات أم ناصر - بحقيقة الأمر .. فوجدها الرئيس فرصة لا تتكرر لتضليل الجانب الإسرائيلى.. وصدرت إلى أشرف أوامر رئاسية بأن يجاريهم ويكسب ثقتهم إلى أبعد مدى وساعدته المخابرات المصرية فى ذلك بتسريب بعض المعلومات اليهم من خلاله لتبقى مصر محتفظةً بنقطة التوازن الاستراتيجية فى مرحلة ما قبل أكتوبر ٧٣، من خلال ما يسربه لهم أشرف من معلومات تمتزج فيها بعض ظلال الحقيقة بالكثير من الأهداف الأخرى الأهم، مثل قصة الطائرة الليبية السابق الإشارة إليها من قبل والتى نجحت مصر من خلالها فى تحقيق ثلاثة أهداف :

١ - تفادت إشعال حرب شاملة مبكرة لم يكن الجيش المصرى مستعداً لها آنذاك ..

٢- حافظت على علاقاتها مع ليبيا ..

٣- منحت رجلها فى الموساد مساحةً غيرمسبوقة من الثقة فى شخصه ..

اتجاهات الصحافة الإسرائيلية !!

لكن يبدو أن الصحف الإسرائيلية التى لا تتصرف أبداً من تلقاء نفسها فى مثل هذه القضايا المتعلقة بأمنها القومى، أوالتى تمس تحديداً جهاز مخابراتها، كانت قد تلقت تعليمات ما بتصعيد الحملة فى إتجاه أن أشرف كان جاسوساً لإسرائيل والتأكيد على نجاح الموساد فى تجنيده .. وبدأت تستغل كتاب برجمان وما أثاره من جدل داخلياً وخارجياً لتثير موجات متعاقبة من تأليب الرأى العام على كل مستوياته

.. بالرغم مما تناقلته بعض الصحف الإسرائيلية وبعض قادة الموساد من مروان كان عميلاً مزدوجاً .. وأنه قد سبب إخفاقاً تاماً وكبيراً للموساد، ومن بين هذه الصحف كانت جريدة معاريف الإسرائيلية التى أشارت إلى أن أشرف مروان هو الرجل الذى جعل من الموساد أضحوكة .. وانتقدت فى نفس الوقت بشدة قيام قادة الموساد بالكشف عن هوية واسم رجل يدعون أنه كان عميلاً لهم، بينما مازال هو على قيد الحياة .. ووصفت ذلك بأنه مخالف لكل قواعد التجسس فى العالم ..

لماذا تتركونه ؟ .. !!

وعقب تفجر القضية بهذا الشكل تمكن الصحفى الإسرائيلى الشهير "دان مرجليت"- الذى يقدم فى التلفزيون الإسرائيلى برنامجاً بعنوان "ملحق الملاحق"- أن يجمع تسيفى زامير وإيلى زعيرا بالإضافة لـ "أهارون برجمان" باعتباره الصحفى الذى فجر القضية من البداية .. وبدأ يفتح الملف الشائك على حد تعبيره ليسأل زعيرا وزامير أين الحقيقة فى قضية أشرف مروان ؟ .. وأخذ الاثنان يتبادلان الاتهامات من ناحية .. ومن ناحية أخرى أخذا يراوغان المذيع الذى كان من الذكاء بحيث لم يتركهما يفلتان من الإجابة عن سؤاله الأساسى .. واستطاع أن ينتزع من كل منهما الإجابة ليعترفا بأن أشرف مروان خدع الجميع، وكان أهم أوراق انتصار المصريين فى السادس من أكتوبر ..عندها صرخ "مرجليت" فى وجوههم قائلاً :

"رجل كهذا كيف يصير حياً وحراً طليقاً يمارس حياته بشكل طبيعى إلى اليوم.. إن بقاء أشرف مروان حياً دون عائق هو أمر يؤكد أن إسرائيل راحت ضحية رجل محترف من الطراز الأول" ..

فيما بعد؟؟

وأخيراً .. ومازلنا نحاول أن نصدق الرواية الإسرائيلية نتساءل : كيف تعاملت إسرائيل مع العميل بابل بعد انتهاء حرب أكتوبر ..؟ وكيف كانت صورة التعامل بفرض استمراره ؟؟ .. فالمؤكد أن عميلاً بأهمية مروان يجب استثماره لدى أى جهاز مخابرات لأقصى مدى ممكن .. خاصةً أنه استمر يشغل مناصب عديدة وحساسة فى مؤسسة الرئاسة، وبعدها فى هيئة التصنيع والإنتاج الحربى التى أقيمت أساساً لتسليح الجيوش العربية لمواجهة الدولة التى تعتبر العدو الأول للدول العربية مجتمعة .. والتى يحمى أمنها جهاز المخابرات الذى يعمل لصالحه .. وخاصةً أيضاً أن أشرف مروان كان على علاقة دائمة ومتميزة بالعديد من الرؤساء والملوك العرب الذين اختاروه شخصياً ليرأس مجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع، ووضعوا تحت تصرفه طائرة خاصة مما يوحى بثقة غير عادية فى شخصه .. وهى الثقة التى كان يستغلها السادات جيداً لإيفاده فى مهام خاصة لهؤلاء الملوك والحكام وغيرهم ..

وإن كان التعامل قد توقف فعلى أى أساس قد توقف ؟. ولماذا يضحى الموساد بعميل فى مثل قيمة وأهمية أشرف مروان ؟. وكيف تم إغلاق ملفه ؟. أم أن الرجل لم يعد له دور بالنسبة لهم بعد انتهاء الحرب ؟. فهل تأكدوا مثلاً فى وقتها من خداعه لهم وأنه كان عميلاً مضاداً ؟ إذا سلمنا بهذا الفرض يكون قد توافر لدينا دليل قوى على أن أشرف مروان ما كان خائناً على الإطلاق لوطنه .. بل كان بتجاهلهم لذكر أى علاقة له بهم بعد الحرب قد حصل على شهادة لا شك فيها بكذب ادعائهم بعمالته لهم والأهم لماذا تركوه كل هذه المدة؟ ..

الفصل الثالث

أشرف مروان .. صراعات و علاقات

ولأن ما حققه أشرف مروان فى سنوات وجيزة .. وسن صغيرة لم يكن بالشيئ الهين.. ولأن طبيعة الأمور تقتضى دائماً أن يكون هناك أعداء للنجاح .. فقد كان على موعد دائم مع الصدام والصراع مع الآخرين عبر كل مراحله الحياتية .. وكان الآخرون دائماً بالنسبة له فريقين .. لا ثالث لهما : إما معه .. أو ضده .. وكثيراً ما كان ينقلب الصديق عدواً .. ونادراً ما انقلب العدو صديقاً .. وبين هذا وذاك كم تعامل معه كثيرون وهم يرتدون قناع الصداقة بينما هم أعداء لا يهمهم إلا تدمير حياته .. وتشويه صورته ..

فكم اقتضته الظروف الدخول فى صراعاتٍ لا رحمة فيها مع شخصيات ذات علاقات سياسية واقتصادية وأمنية ومصالحٍ دولية ومحلية متشابكة .. وصمد الرجل أمام كل ذلك دون أن تهتز له شعرة .. وهويحمل علي كاهله، الذى أصبح متعباً ومريضاً بمرورالوقت، العشرات والعشرات من الأسرار والملفات الغامضة التى لم يبح بها لأي شخص مهما كانت مكانته لديه ..

هجوم بلا توقف .. !!

فالمعارضون لعبد الناصر الذين لم يكن يجرؤ واحد منهم أن يرفع صوته فى حياة الرجل حاربوه بعد وفاته فى شخص زوج ابنته .. مشككين في قدرات وسوء اختيارات عبد الناصر وقراراته الخاطئة حتى فى اختياره لزوج ابنته .. وكل ذلك

كمدخل لتشويه الحقبة الناصرية بأكملها .. والبعض منهم كان يروج لمقولة إن ارتباط أشرف مروان بكريمة عبد الناصر كان بمبدأ الغاية تبرر الوسيلة .. ولم يكن ذلك الزواج سوي وسيلة ليحقق الشاب الطموح أحلامه من خلال مصاهرته لرئيس الجمهورية.. حتى أسرة أشرف لم تسلم هى الأخرى من هجوم وادعاءات الصحافة.. وكان فى مقدمة من طالتهم تلك الاتهامات والد أشرف نفسه .. الذى قيل إنه كان يستغل منصبه كرئيس لمجلس إدارة شركة الأسواق الحرة، ذلك المنصب الذى تولاه بفضل نفوذ ابنه ليثرى من ورائه بطرق غير مشروعة ..

والد أشرف مروان .. !!

ولعب الكاتب الصحفى جلال الدين الحمامصي دوراً كبيراً فى التفتيش وراء الرجل واتهمه صراحةً في ذمته المالية .. يقول الحمامصى فى كتابه "حوار وراء الأسوار" :

"إن والد أشرف مروان كان يطلق عليه (مستر ٥٪) وهى قيمة العمولة التى اختص نفسه بها من العديد من العمليات التى كانت تمر من تحت يديه" .. ويؤكد الحمامصى أنه كان قد جمعه فى السبعينيات لقاء مع زكريا توفيق عبد الفتاح وزير التجارة وقتها فى حفل عشاء وسأله عن حكاية مستر ٥٪ فقال له الوزير .. نعم إنها حقيقة .. وأكد له الوزير أن رئيس الوزراء وقتها كان يلح عليه لإقالة والد أشرف من منصبه التابع إدارياً للوزيروإحالته إلى المعاش تخلصاً مما يسببه لهم من حرج.. ويذكر الحمامصى نفسه أنه قد جمعه لقاء آخر مع رئيس الوزاء ممدوح سالم، وسأله عن موضوع أبو الوفا مروان فوضع رئيس الوزراء يده على ملف ضخم ومتخم بالأوراق كان موضوعاً أمامه على مكتبه، وقال له: هذا هو "أبو الوفا مروان" .. وكلها شبهات فى استغلال الرجل لما يتمتع به ابنه من نفوذ ليتربح من خلاله .. الغريب أيضاً أن والد أشرف ثبتت براءته من تلك الاتهامات .. وبقى مقياس التاريخ لا يعترف إلا بالحقائق فقط .. وليس بالشائعات .. أو الاتهامات المرسلة ..

علاقات خاصة .. !!

وفى حياة أشرف مروان العديد من العلاقات الخاصة جداً التى أثرت بلا شك فى مسار حياته بشكل مباشر أو غير مباشر .. لكن كان تأثيرها كبيراً وخطيراً .. وأول تلك العلاقات كانت علاقته بزوجته "منى عبد الناصر" التى كان ارتباطه بها حداً فاصلاً، ولو كان ارتبط بغيرها لكان مسار حياته بلا شك قد تغير تماماً ..

وجاءت فترة السبعينيات لتشهد توهج علاقات أشرف بالعديد من الأسماء والشخصيات اللامعة فى هذه المرحلة .. مثل الرئيس الراحل أنور السادات بحكم علاقته الوظيفية معه وقربه الشديد منه .. ووزير الخارجية الأمريكى "هنرى كيسنجر" .. وأحد رؤساء أجهزة المخابرات العربية فى السبعينات كان مليارديراً ومعروفاً عنه ضلوعه فى عالم تجارة السلاح.. وكذلك رجال النظام الليبى: عبد السلام جلود .. وقذاف الدم.. والقذافى .. ثم جاءت مرحلة لندن وعلاقته بالملياردير البريطانى الشهير " تاينى رولاند " .. وأخيراً علاقته بأهارون برجمان الرجل الذى فجر قضيته ذات يوم .. وهو يكاد يكون الوحيد الذى تحول من خانة العدو .. إلى خانة الصديق ..

جناحا الإمبراطورية .. !!

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن رئيس المخابرات العربى المشار إليه سابقاً.. كان هو وكيسنجر بمثابة الجناحين اللذين استخدمهما أشرف مروان ليُحلّق بهما فى سماء طموحه كيفما شاء .. الأول وفرّ له الدعم المالى المطلوب وتولى تقديمه لأساطين تجارة السلاح فى العالم، وارتبط معه هو وآخرين بعلاقات خاصة جداً كانت تدور كلها داخل دائرة تجارة السلاح دولياً .. والثانى كفل له مظلة سياسية خاصة تحرك من خلالها ليكتسب المزيد من النفوذ السياسى عالمياً ..

علاقات متداخلة .. !!

الملاحظ أننا لانستطيع أن نفصل ونُصنف زمنياً أو مكانياً علاقات وصراعات أشرف .. فهى تتداخل على المستويين : الزمنى ، والمكانى، بشكل غريب .. فكم من علاقات أو صراعات.. بدأت معه هنا فى مصر .. فى زمن ما .. وانتقلت معه من مكانٍ لآخر .. وبعضها مرّ به فى حياته مرور الكرام ونبدأً بأهم وأخطر علاقات أشرفً مروان ..

أشرف والسادات !!

فمن مكتبه الخاص .. وبوضعية مميزة عن الآخرين بدأت علاقة أشرف مروان بالسادات تتسع بشكل كبير .. وعندها بدأ نجمه يبزغ بشدة أكثر .. وأكثر .. تحديداً منذ ليلة الخامس عشر من مايو ١٩٧١ ، حيث كان دور أشرف فى تلك الليلة هو نقطة التحول الأساسية ومحطة هامة من أهم محطات حياته ..

ففى مذكراته التى تحمل عنوان «البحث عن الذات» يحكى السادات عن هذه الليلة فيقول :

"فى الساعة الحادية عشرة إلا ثلاث دقائق من مساء ١٣ مايو ١٩٧١ جاءنى أشرف مروان وكان يعمل مديراً لمكتب سامى شرف .. يحمل استقالات رئيس مجلس الأمة .. ووزير الحربية .. ووزير الإعلام .. ووزير شئون رئاسة الجمهورية .. وأعضاء من اللجنة المركزية .. وأعضاء من اللجنة المركزية العليا .. وكان المقصود بهذه الاستقالات أن يحدث انهيار دستورى فى البلد .. قبلتها جميعا" ..

بوادر أزمة مايو !!

بينما تقول جيهان السادات فى مذكراتها « سيدة من مصر» عن نفس الواقعة :

كنت أشاهد أنا وأنور أخبار العاشرة وهى آخر برنامج فى ذلك اليوم حين سمعنا

طرقاً على الباب .. كان الطارق هو أشرف مروان زوج ابنة الرئيس عبد الناصر وكان يعمل فى مكتب سامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية .. ورحبنا بأشرف إذ كان من أصدقائنا الشخصيين ، ولكن ما جاء به كان الورقة الأخيرة فى الانقلاب المبيت .. وهى استقالة رئيس مجلس الشعب وبعض الوزراء الآخرين .. وقال أشرف (بشىء من الخجل) : إن الاستقالات ستذاع فى التليفزيون بعد بضع دقائق .. ونظر أنور إلى أشرف وهز رأسه كأنه غير مصدق .. وسألت الشاب الواقف أمامنا فى حرج : أشرف .. لماذا لم تخبرنا بذلك من قبل ؟

فقال : لم يدعنى الوزير أترك مكتبى.

وقد يكون ماقاله أشرف حقيقياً.. فهو لم يكن إلا موظفاً عليه أن يطيع أوامر رؤسائه" ..

سامى شرف يتحدث !!

انتهت شهادة السيدة جيهان ، ولن تكتمل الرؤية إلا بالذهاب لشهادة سامى شرف أحد أضلاع المؤامرة نفسه .. الذى يقول عنها فى حواره مع الكاتب الراحل « عبدالله إمام » مايلى :

"عندما جاء أشرف مروان ـ وكان يعمل معى ـ لتسلم الاستقالات لتسليمها لأنور السادات".. قلت له بالنص :ـ

(يا أشرف خذ هذه الاستقالات لتوصيلها إلى أنورالسادات بدون قيود وبدون أى شروط .. فأبلغنى أشرف أنه لن يستطيع الاستمرار فىعمله .. فطلبت منه أن يستمر.. وقلت له : أنت تقعد حتى أطمئن إلى وجود أحد أمين فى هذا المكتب.. وأنت لست طرفاً.. أنا من حقى كوزير دستورياً أن أعرب عن رفضى لما يحدث بالاستقالة)..

ويكمل سامى شرف باقى ماجرى بقوله : «عندما قبل أشرف أن يستمر ولا يستقيل كلفت سكرتيرى محمد سعيد بتسليم كل ما لديه لأشرف مروان .. وقد تم هذا بعد منتصف الليلة نفسها .. وكانت هذه الأوراق عبارة عن ثلاث شنط جلدية بها تسجيلات لجميع محاضر الاجتماعات الرسمية لجمال عبدالناصر، سواء فى مجلس الوزراء أو فى اللجنة التنفيذية العليا أو فى منزله بمنشية البكرى ..»

أشرف وحكاية خزينة عبد الناصر !!

ويروى صلاح الشاهد كبير الأمناء برئاسة الجمهورية - والذى كان زميل دراسة للرئيس السادات فى مدرسة فؤاد الأول الإبتدائية[1] أنه كان هناك خزانتان سريتان فى منزل الرئيس الراحل عبد الناصر، إحداهما كبيرة كان يوضع بها الأموال المخصصة للمصاريف السرية .. والأخرى صغيرة كان يحتفظ فيها الرئيس بالمستندات والتقارير التى تحمل قدراً كبيراً من الأهمية والسرية المطلقة القادمة فى الغالب من المخابرات والأجهزة الأمنية .. وبعد وفاة عبد الناصر أبلغت السيدة تحية زوجته المسئولين بشأن هاتين الخزانتين .. ولما كان سامى شرف يحمل مفتاحاً إضافياً للخزنة السرية فقد كلف سكرتيره الخاص محمد سعيد بالذهاب الى منزل الرئيس الراحل وإحضار تلك المستندات ،التى كان بعضها قد كتبه سامى شرف نفسه هو وأشرف مروان ضد السادات ورفعوها لعبد الناصر.. وكانت تلك المستندات - بحسب تعبير الشاهد - "تودى فى داهية" وبمجرد خروج محمد سعيد بالمستندات، وإنطلاقه بسيارته، إنطلق خلفه أشرف مروان وأطلق الرصاص من مسدسه الخاص على السيارة وتمكن من إيقافها والاستيلاء على ما حمله محمد سعيد من مستندات، استبعد منها ما يدينه وحمل الباقى إلى الرئيس السادات وكأنه يقدم له عربون إخلاص غالى الثمن يدين ويكشف له كل أعدائه ..

(١) جريدة الغد ٤ يوليو ٢٠٠٧

انتهت شهادة صلاح الشاهد... ويبقى أن نقول أن هذه الواقعة تحديداً قد ذُكرت بروايات مختلفة .. مابين استيلاء أشرف على الخزينة بما تحتويه .. أو المستندات فقط .. وفى كلتا الحالتين أصبحت المستندات فى حوزة أشرف ..

واستطاع أشرف بدءاً من هذه الليلة أن يحوز على ثقة السادات بشكل كبير .. وأصبح بعدها أحد .. بل أهم المقربين منه .. حتى تم نقله للعمل كرئيس لمجلس إدارة الهيئة العربية للتصنيع .. ثم نقله للعمل كسفير بالخارجية المصرية ..

اتهامات باطلة .. !!

وكان لموسى صبرى الدور الأكبر فى ترويج العديد من الشائعات والهجوم المستمر على أشرف .. والغريب أنه وهو كاتب صحفي مخضرم .. - المفترض فيه أنه يعرف تماماً الفرق بين ترويج الشائعات .. وتحقيقها صحفياً وتاريخياً .. باعتباره حاول أن يرتدى ثوب المؤرخ أوعلى الأقل الصحفى العالم ببواطن الأمور- لم يحاول أن يوثق ادعائاته التى طال بها الرجل وحتى لم يتمكن من إدانته فى أى منها وإنما تركها مرسلةً بلا توثيق .. وبدأ يشن حملات متوالية وضارية ضده ويمد أعضاء مجلس الشعب - وفى مقدمتهم الدكتورحلمى مراد - بما يصلح لتقديم استجواب عن أعمال أشرف مكتفياً بأن يثير حول الرجل موجات ضبابية من الشكوك .. فمرة يتحدث عن تلقى أشرف مروان عمولات خاصة من صفقات أسلحة وطائرات .. ثم صفقة السيارات التى تم توريدها إلى رئاسة الجمهورية واتهمه صبرى فيها بتلقى عمولة ثبت براءته منها بعد التحقيق .. ثم كانت القصة الأكثر بشاعة وغرابة وهى شائعة سرقة مجوهرات من حجرة أشرف مروان بأحد فنادق لندن..

حكاية سرقة المجوهرات !!

ولهذه الواقعة تحديداً قصة غريبة ، فبعد أن بدأ إسماعيل فهمى يضجر من طغيان مروان على اختصاصاته كوزير للخارجية .. أخذ يسرب إلى الصحف أخباراً تمس سمعة أشرف مروان ... وحدث أن اتصل به عبد الحميد عبد الغنى رئيس تحرير «أخبار اليوم» فى السبعينيات ليسأله عن خبر ما وكان الاثنان تربطهما معاً علاقة صداقة شخصية .. فأجابه إسماعيل فهمى بأن مايسأل عنه شيئ غير ذى أهمية قياساً بخبر آخر سوف يؤثره به .. وعندما تحركت حواس عبد الغنى الصحفية كانت المفاجأة التى أخبره فهمى بها هى سرقة كمية من المجوهرات تقدر قيمتها بعشرات الآلاف من الجناح الذى كان يقيم به أشرف مروان فى أحد فنادق لندن!.. فى اتهام غير مباشر من وزير الخارجية لأشرف مروان .. وأكد وزير الخارجية لرئيس تحرير الأخبار سرية الخبر الذى لم تكن وكالات الأنباء قد نقلته وأنه تلقاه بصفة رسمية وسرية .. وكتب رئيس التحرير قصة السرقة بدون أسماء .. لكن بشكل يوحى بأن المقصود بالخبرهو أشرف مروان.. ونشر الخبر فى كل من "أخبار اليوم" ومجلة "آخر ساعة" فى شكل تحقيقات مطولة وصفته بـ "الفضيحة" .. وبعد النشر اتصل السادات بموسى صبرى يستوضح مَنْ المقصود بالخبر، فأجابه بأنه أشرف مروان.. وكان النشر بهذا الشكل المبهم قد أثار غضب أسرة عبد الناصر بالكامل، بعدما ترددت شائعات تؤكد أن المقصود بالخبر هو خالد ابن الزعيم الراحل جمال عبدالناصر الذى كان يدرس وقتها فى لندن .. واتصلوا بالسادات معترضين على هذا النشر المبهم وضرورة تحديد الشخص المقصود حتى لا تزيد الشائعات .. وقال السادات لموسى صبرى بحسب ما جاء فى كتابه "الحقيقة والأسطورة" :

"إننى لا أجور على حرية الصحافة .. ولا أحمى أحداً.. ولكننى ضد نشر الأخبار المعماة التى يمكن أن تسىء إلى أكثر من شخص .. إذا كان لديكم خبرعن شخص .. أى شخص .. وأنتم متأكدون من وقائعه .. انشروا الخبر بالأسماء .. حتى لا يُظلم برىء" ..

أشرف يتحدى الجميع !!

وأمام السادات تحدي "أشرف مروان" الجميع وطالبهم بالبينة .. فكلفت أخبار اليوم "زغلول السيد" مدير مكتبها فى لندن بتحري الحقيقة بتكليف من السادات .. وكان رد "زغلول" بعد فترة أنه سعي لدي كل الجهات بما فيها الشرطة البريطانية "اسكوتلاند يارد" وبعض الجهات الأمنية السرية لمعرفة الحقيقة.. ونفي الجميع صحة هذه المزاعم..وهنا طالب السادات "مروان" بمقاضاة أخبار اليوم .. إلا أنه اكتفى بما حدث وتيقن السادات شخصياً من برائته ورفض مقاضاتهم .. وهذه القصة تنطوى على قدر غير عادى من السذاجة؛ فأين صاحب هذه المجوهرات ولماذا تواجدت تلك المجوهرات أصلاً فى حجرة أشرف مروان بالفندق ؟؟ هل نسيها نزيل سابق مثلاً؟. إن المجوهرات التى وصفها وزير الخارجية وقتها بأنها تساوى عشرات الآلاف من الجنيهات ثمنها يقطع بأن حجمها لم يكن صغيراً حتى ينساها صاحبها هكذا وكأنه ينسى علبة سجائره .. عموماً القصة من بدايتها واضح أنها مجرد اختلاق وأكاذيب والمقصود منها فقط إثارة نوع من هز ثقة السادات فى أشرف مروان.

السادات يقول: أشرف الشخص المناسب .. !!

ولم ييأس موسي صبرى وجماعته، وذات يوم فاتح صبرى الرئيس مباشرةً دون مواربة فى موضوع أشرف مروان وسأله بتعجب واندهاش : إن الشعب يرفض أشرف مروان .. فلماذا تتمسك به ؟ فرد عليه الرئيس قائلاً : أنا لا أقبل أن أمد يدى إلى أى حاكم عربى ولكننا نتعرض لمآزق مالية خطيرة .. وأشرف يقوم بهذه المهمة .. ويستطرد موسى قائلاً : أن دبلوماسية السادات التى تعتمد على الاتصال المباشر مع الرؤساء كانت تجد فى شخص أشرف مروان من يستطيع تنفيذها بدون بروتوكول وإجراءات رسمية .. فهو عندما يذهب إلى السعودية مثلاً لا يعامل وفقاً لقواعد

البروتوكول .. كما أنه من الممكن أن يتحدث إلى الأمراء العرب وغيرهم بغير كلفة أو رسميات.. ويعبر لهم بكلام صريح عن التصرفات التى تغضب السادات .. أو المطالب التى يريد السادات تحقيقها .. وفى هذا يختلف تماماً عن وزير الخارجية.. وكان السادات يجاهر بالثناء على أشرف مروان وعلى أمانته وكفاءته فى توصيل الرسائل المطلوبة، وقدرته الخاصة فى التعامل مع الأمراء العرب وإقناعهم بمطالب القاهرة ووجهة نظرها.. وأنه قدم لمصر خدمات جليلة قبل حرب أكتوبر ونجحَ فى إقناع كثير من الدول العربية بتقديم السلاح والمساعدات المختلفة..

وموسى يصعد الحملة ضده .. !!

لكن موسى، الذى كان فيما يبدو يأخذ موضوع وقضية أشرف مروان بمنظور شخصى غريب، وغير مفهوم لم يتوقف أمام ثقة السادات الشديدة فى الرجل .. ولا أمام تعمده تجاهل كل ما يسربونه له من شائعات عديدة وأقاويل تراكمت أمامه - يوماً بعد يوم، مثل اعتياد أشرف مروان لعب القمارعلى موائد نادى «البلاى بوى» بلندن وخسارته مبالغ مالية باهظة هناك.. وحياة البذخ التى كان يعيشها فى شقته الخاصة التى يملكها فى لندن .. وجعل موسى من أشرف مروان قضيته الخاصة التى لا يمل من الضغط بكافة الوسائل على الرئيس ليأخذ موقفاً منها بالشكل الذى يتمناه ولا يحتمل إلا الإقالة لـ "الطفل المعجزة" ، كما سماه على أمين وكما كان يحلو لهم تسميته .. وزاد السادات فى تجاهله لكل تلك المحاولات المكشوفة من صبرى وحزبه..

يوم بكت منى عبد الناصر !!

وعندما تم إنهاء إعارة أشرف مروان للهيئة العربية للتصنيع .. ونقله إلى وزارة الخارجية .. يومها نشر موسى صبرى الخبر فى جريدة "الأخبار" - الصحيفة التى

كان يرأس تحريرها آنذاك- بشكل فيه تشف وتعمد الإساءة لأشرف تحت عنوان "إنتهاء أسطورة أشرف مروان"..

فذهبت منى عبد الناصر باكيةً لمنزل الرئيس السادات وفى يدها نسخة من الجريدة .. انفعل السادات للغاية وغضب غضباً شديداً .. وبدا وكأنه فوجئ بالأمر.. وانتقد النشر بهذا الشكل واعتبره تشهيراً متعمداً .. وأخذ هو وزوجته السيدة جيهان فى تهدئتها .. وطمأنها بأنه يعتبرها بمثابة ابنته .. وما لا يرضاه ابنته .. لايرضاه لها.. وأنه لا يرضي أبداً بتشويه سمعة أشرف .. وسوف يرد لأشرف اعتباره بطريقته الخاصة .. والتى سوف يقطع بها ألسنة كل هؤلاء .. فلا يرضيه أبداً بأن يكون إبعاد أشرف مروان فى شكل طرد له ..

السادات يعنف موسى صبرى !!

وفى نفس اليوم تمكن أشرف من لقاء السادات فى استراحة الهرم .. وأخبره بما يردده موسى صبرى من أن الرئيس السادات هو الذى طلب منه النشر بهذا الأسلوب .. وأن الأمر برمته ما هو إلا مؤامرة مقصودة للتشهير به لصالح آخرين .. وطلب السادات موسى صبرى تليفونياً وعنفه وأمره برفع الخبر من الطبعات التالية ووضع مكانه بياناً صادراً عن رئاسة الجمهورية، جاء فيه أن الرئيس السادات قرر تعيين أشرف مروان سفيراً من الدرجة الممتازة بوزارة الخارجية، كما كلفه بحمل رسائل خاصة إلى ثلاثة من الرؤساء العرب .. ونشر فى البيان ايضاً أن أشرف مروان هو الذى قدم استقالته من الهيئة العربية للتصنيع التى ساهم فى أن يقدم لها خدمات جليلة وصدرت الطبعة الثانية من الأخبار فى نفس اليوم وقد رفع الخبر الأول وتم استبداله حسب أوامر الرئيس السادات ..

السبب الحقيقى للإقالة:

ويهمنا هنا أن نتوقف قليلاً عند قرار إقالة أشرف مروان من الهيئة العربية للتصنيع.. لأن هذا القرار له توابع وأصداء كثيرة.. فقد اتخذ السادات قراره بإقالة أشرف فى فترة زيارة وزير الدفاع البريطانى "فريد هولك" لمصر التى كان يزورها لغرض التوقيع على مذكرة تفاهم بين الهيئة العربية للتصنيع الحربى.. ووزارة الدفاع البريطانية على أساسها أجازت بريطانيا سياسة بيع السلاح للعرب ومشاركتهم صناعنهم الحربية.. وكانت هذه المذكرة النهائية هى عبارة عن تجسيد حىّ لفكر.. وسعى قاده عبر شهور طويلة أشرف مروان نفسه وتولى بشخصه إعداد كل الأوراق.. والمستندات.. والإجراءات اللازمة لذلك.. لذلك آثر السادات تأجيل إعلانه قرار إقالة أشرف لما بعد زيارة وزير الدفاع البريطانى.. لكن الصدى الأهم هو ما كشفته مؤخراً بعض المصادر الفرنسية ومن بينها صحيفة (اللوموند) عن أن أمريكا كانت وراء الضغط على الرئيس السادات الذى كان يهمه للغايه فى هذا التوقيت إرضاءها بكافة السبل- لإقالة أشرف من منصبه بالهيئة.. لماذا؟

أكدت الصحيفة الفرنسية أن سبب ذلك يرجع إلى قوة علاقات أشرف مروان مع شركات فرنسية كبرى عاملة فى مجال تصنيع وتطوير السلاح مثل شركات (طومسون- داسو- سنيكما- ماترا).. ونجاحه بالفعل فى هذا التوقيت من توقيع عقود مشروعات ضخمة معهم فى مصر وبعض الدول العربية قيمتها خمسة مليارات دولار.. مما كان سيؤثر بالطبع فى حالة استمرار أشرف فى منصبه.. وتوقيعه المزيد من العقود والمشاريع المماثلة فى طرد.. أو على الأقل تحجيم دور الولايات المتحدة فى احتكار سوق السلاح والمشروعات الكبرى فى منطقة الخليج والشرق الأوسط والذى كانت من خلاله تستطيع دائماً الإبقاء على نقطة التوازن فيه لصالحها حرصاً على السيطرة على سوق النفط عالمياً.. وحيث تمثل تلك المنطقة بالنسبة لأمريكا والعالم أجمع المصدر الأول له.. وكان ذلك بحسب تحليل الأحداث هو الدافع الرئيسى وراء إصرار السادات على إقالة أشرف من الهيئة بالرغم من خدماته الجليلة التى قدمها لوطنه. والتى أشار إليها الساداتباعترافه شخصيًا فى حيثيات منحه أشرف وسام الجمهورية من الطبقة الأولى.. كما سيلى ذكره.

ويرد له إعتباره !!

بعدها فاجأ السادات الجميع بتكريم أشرف رسمياً .. ومنحه وسام الجمهورية من الطبقة الأولى .. تقديرا للخدمات التى أداها للدولة فى حرب أكتوبر .. بحسب حيثيات قرار التكريم ومنح الوسام .. وخصَّ من تلك الخدمات نجاح أشرف فى الحصول على قطع غيار حربية من فرنسا فى وقت كانت فيه المصانع مغلقة بسبب عطلة رسمية .. وقال السادات بالنص فى كلمته بمناسبة منح أشرف الوسام :

"إنى أمنحك هذا الوسام من الطبقة الأولى تقديراً لما قمت به نحو بلدك خاصةً فى أحلك الأوقات وأثناء معارك أكتوبر المجيدة .. ويجب أن يعلم الجميع أنه فى الوقت الذى كانت فيه القوات الجوية فى أمس الحاجة إلى قطع الغيار لتقوم بمهامها القتالية وكانت جميع المصانع فى أوربا مغلقةً، قمت أنت بمجهودك الشخصى بتوفير قطع الغيار اللازمة لها .. مما مكن القوات الجوية من تحقيق مهامها القتالية بالكفاءة المطلوبة" .. ومن هنا انتهت علاقة أشرف مروان الرسمية بالرئيس السادات، ولكن بقيت علاقتهما تدور فى إطار العلاقة الشخصية .. وكان كثيراً ما يصطحبه أشرف زوجته لزيارة الرئيس وأسرته فى بعض المناسبات الإجتماعية..

"مبارك" يستقيل .. والسبب أشرف !!

ويبدو بالفعل أن أشرف كان له نفوذ غير عادى، حيث ثبت أن المرة الوحيدة التى تقدم فيها النائب حسنى مبارك باستقالته من منصبه، قيل أنه كان بتخطيط خاص من أشرف شاركته فيه السيدة جيهان السادات وفوزى عبد الرحمن سكرتير السادات الشخصى، حيث خططوا جميعاً للإطاحة بمبارك وتصعيد منصور حسن الذى كان وقتها يشغل منصب وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية بديلاً عنه.. وتم تقليص مهام مبارك لصالح حسن .. وهو ما رفضه النائب حسنى مبارك وقتها

وقام بتقديم استقالته للرئيس، وذهب خارج القاهرة معتزماً اعتزال العمل العام ومصراً على موقفه .. فى نفس التوقيت صدرت مجلة الحوادث اللبنانية وعلى غلافها صورة لمنصور حسن وتحتها كتبت المجلة "الرجل القادم فى مصر"، وذلك بإيعاز من محمد حسنين هيكل الذى كان قد بدأ وقتها مرحلة الصدام مع السادات.. ورأى السادات المجلة فغضب غضباً شديداً وأرسل يستدعى نائبه السابق .. وطالبه بالعودة لممارسة مهام منصبه مرةً ثانية .. ووافق مبارك بشرط عودة اختصاصاته المسحوبة منه لصالح منصور حسن من قبل بنص القرار الجمهورى ١١٩، فرد عليه السادات بالموافقة وأخبره أنه سوف يلغى تماماً منصب وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية، فيما يعنى أنه يقيل منصور حسن ليرضى نائبه..

أشرف يحتجز رجال الأمن فى مكتبه .. !!

وفى الفترة الأخيرة من حكم السادات وبعد أن انتهت تماماً العلاقة الرسمية بين أشرف والسادات .. وأثناء زيارة السادات الشهيرة لإسرائيل .. دبرت إحدى الجهات الأمنية وسيلة للإيقاع بأشرف مروان ومداهمة مكتبه والإستيلاء على كل ما به من أوراق .. وبعد استئذان النيابة أعدت العدة لوضع أجهزة تنصت فى مكتب مروان الضخم الذى كان يملكه بمصر الجديدة .. ولكن أحد المنوط بهم تنفيذ العملية أبلغ أشرف مروان الذى استطاع أن يضبط الكمين المعد له، وأن يصورهم أثناء تفتيشهم مكتبه .. واحتجزّ المكلفين بالعملية فى المكتب .. ورفض إطلاق سراحهم .. وهدد بأنه سوف يطلق عليهم جميعاً النار فى حالة محاولة اقتحام مكتبه بالقوة .. واتصلت الجهات المختصة بالرئيس السادات الذى طلبه تليفونياً على الفور وأمره بإطلاق سراحهم.. وامتثل مروان لأوامر السادات .. واستغل مروان فيما بعد هذه الواقعة للتدليل على ما يحاك ضده من مؤامرات لإفساد العلاقة بينه وبين الرئيس..

علاقته برجل المخابرات العربى!!

بدأت أنباء علاقة غامضة بين أشرف مروان .. ورجل مخابرات عربى شهير كان معروفاً عنه صداقته الشخصية للرئيس السادات منذ بدايات ثورة يوليو حتي مصرعه .. لكن عندما ارتبط اسم أشرف مروان به بدا الأمر وكأن الرجل ارتكب جريمةً ما بصداقته معه .. وبدأت أنباء تلك العلاقة- التى تطورت فيما بعد إلى الشراكة فى أمور تجارية استمرت طويلاً- تعرف طريقها للصحف مبكراً .. فى الوقت الذى كان فيه أشرف فى بداية رحلة صعوده .. فى أوائل السبعينيات.. وكان أول ذكر لتلك العلاقة عندما تسربت مستندات خاصة إلى الكاتب الصحفى «جلال الدين الحمامصى» الذى كان أحد أعضاء تحالف "العائدون من الكهف"(١) .. وكانت تلك المستندات متعلقة بقطعة أرض بالجيزة اشتراها أشرف باسم زوجته.. ثم باعها لرجل المخابرات العربى وكسب فيها مبلغاً كبيراً .. إلى هنا والأمر يبدو عادياً.. لكن الحمامصى وفرقته تلقفت الخبر .. واستعانت بما وصلها من مستندات.. وشنت حملة صحفية كبيرة ضد أشرف .. تركزت الحملة على محورين أساسيين :

أولاً : من أين حصل أشرف على ثمن قطعة الأرض التى تجاوز سعرها آنذاك عشرات الألوف وهو مجرد موظف صغير راتبه لا يتجاوز جنيهات محدودة .. ولم يرث عن أسرته البسيطة أية أموال ..

ثانياً : علاقته بالمشترى ذى الصله الوثيقة آنذاك بالمخابرات الأمريكية ودوره الغامض فى صفقة البوينج التى قدم بسببها إلى المحاكمة وزيران من الحكومة المصرية التى كان يرأسه وقتها رئيس الوزراء عزيز صدقى، وهما أحمد نوح «وزير الطيران» ومرزبان "وزير الاقتصاد" .. ولمحّت الحملة لصدور تعليمات من أشرف للوزيرين

---

(١) ضم هذا التحالف كلاً من الكتاب الصحفيين... على أمين .. وجلال الدين الحمامص .. وتزعمه موسى صبرى... وجميعهم كان من المغضوب عليهم أثناء حكم عبد الناصر... فكانوا وكأنهم عائدون من كهف الستينيات للإقتصاص من عبد الناصر وكل ما يمت إليه بصله- ولم يجدوا أمامهم سوى أشرف مروان.

بضرورة التعاقد مع رجل المخابرات العربى الذى كان هو نفسه مشترى الأرض فى هذه الصفقة بصفته وكيلاً لشركة «البوينج» فى الشرق الأوسط، وكان يتقاضى عمولة عن كل طائرة تباع فى هذه المنطقة .. وفيما بعد حكم القضاء ببراءة الوزيرين ..

أشرف يدافع عن نفسه ..

وكان لابد أن يرد أشرف على الاتهامات التى طالت ذمته المالية والتى كانت تقفز من بين سطور الحملة .. وأمام السادات لم ينفِ مروان صحة الواقعة .. بل أكدها.. مشيراً إلى أن مصدر الثمن الذى اشترى به قطعة الأرض جاء من حصيلة بيع زوجته لعدة سيارات تلقتها كهدايا من بعض الملوك والرؤساء العرب إكراماً لذكرى والدها.. وأحضر معه من الأوراق الرسمية ما يثبت ذلك .. ومن هنا بدأت أنباء العلاقة الغامضة بين أشرف مروان والرجل العربى تخرج للنور وخرج أشرف من تلك العلاقة بكثير من المكاسب ..

عدنان خاشقجى .. !!

ومن داخل تلك العلاقة تولدت علاقات أخرى .. لا يعرف أحد عنها الكثير، أهمها هى علاقته بالملياردير العربى وتاجر السلاح المعروف "عدنان خاشقجى"، والذى وصف فى وقت من الأوقات بأنه أغنى أغنياء العالم وأشهر تاجر سلاح عربى.. وخصصت له مجلة "تايم" الأمريكية غلاف عددها الصادر فى ١٩ يناير ١٩٧٩ بالكامل ..

وكان أدهم ومن وراءه يمثلون بالنسبة لأشرف جناح الدعم المالى الذى يستمد منه قوة الدفع المالية المطلوبة لتوسيع إمبراطوريته المالية .. وكان أشرف بالنسبة لهم هوالعقل المدبر والمخطط للصفقات بما يتمتع به من نفوذ وحظوة لدى العديد من ملوك ورؤساء الدول العربية وبعض الدول الأوربية ..

علاقته بهنرى كيسنجر!!

وُصفت العلاقة بينه وبين وزير الخارجية الأمريكى "هنرى كيسنجر" بأنها كانت وثيقة للغاية، واستطاع من خلالها أشرف أن يكون ضلعاً هاماً ومؤثراً وعلى دراية بكل أسرار المباحثات المصرية- الأمريكية .. وأكبر دليل على ذلك اختيار كيسنجر لمروان ليجلس إلى جواره على مائدة واحدة، عندما كان ضمن الوفد المصرى الذى دعاه الرئيس الأمريكى وقتها "فورد" للعشاء بالبيت الأبيض فى أول زيارة للسادات لأمريكا عام ١٩٧٥.. إلا أن تلك العلاقة كانت مرهونة ببقاء كيسنجر فى بؤرة الأحداث السياسية وهو ما لم يستمر طويلاً .. وتلاشت العلاقة بينهما فيما بعد بالتدريج .. لكن كان لوزير الخارجية الأمريكى دوره الهام والمؤثر فى حياة أشرف مروان .. فى مرحلة كانت تتشكل فيها ملامح إمبراطوريته الخاصة .. وكان بالإضافة إلى رجل المخابرات العربى وخاشقجى الجناح الآخر الذى يعطي أشرف ثقلاً سياسياً على مستوى العالم لحساسية موقعه وقوته الشديدة فى بلاده ومؤسساتها المختلفة.

أين الإدارة الأمريكية ؟ .. !!

وتقودنا تلك العلاقة تحديداً إلى نقطة غاية فى الأهمية فى ملف عمالة أوعدم عمالة أشرف مروان للموساد، وهى أن الإدارة الأمريكية على أعلى مستوياتها لم تكن غائبة عن متابعة أشرف ولم يكن بالنسبة لها شخصاً مجهولاً .. وعلى ما بين الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية من تعاون وتكامل على أعلى المستويات .. فهل كانت المخابرات المركزية الأمريكية هى الأخرى تجهل وقتها دور الرجل الذى كان يجلس على مائدة واحدة مع وزير خارجيتها وتجمعه به صداقة من نوع خاص جداً؟..

أشرف فى لندن !!

منذ بداية الثمانينيات وبعد أن ترك أشرف عمله فى السلك الدبلوماسى، سافر الى لندن متخذاً منها مركزاً خاصاً لأعماله التجارية التى أخذت تتسع بشكل كبير للغاية فى مجالات مختلفة .. وتحولت حياته بعدها إلى دوامة من العمل المستمر والتنقل الدائم بين مختلف بلدان العالم، لهثاً وراء صفقاته التجارية التى لم يكن ينتهى من واحدة إلا ليبدأ فى أخرى ..

الرجل المجهول .. !!

فى كتابه "من قتل ديانا ؟" يؤكد "سيمون ريجان" الصحفى البريطانى الشهير.. والقريب جداً من المخابرات الإنجليزية والأسرة المالكة فى بريطانيا.. أن أشرف مروان عندما هبطت قدماه أرض لندن للمرة الأولى لم تكن ثروته تتجاوز الـ ٣٤٠ ألف جنيه إسترلينى فقط[1] .. لكنه استطاع أن يفرض نفسه بقوة على هذا العالم بكل سطوته..

فى السنوات الأولى من إقامة مروان بلندن .. فوجئ مجتمع المال فى العاصمة البريطانية .. برجل كان وقتها بالنسبة لهم مجهولاً .. يقتحم عالمهم الخاص .. ويفرض نفسه عليهم بقوة شديدة .. وتمكن هذا الرجل بطريقة ما أن يستغل تحول منطقة تسمي "سكيلي واج"- وهى منطقة تاريخية تقع شمال لندن- من مجرد

(١) تضاربت الأقوال بشدة حول حجم ثروة أشرف مروان فى بداية استقراره بلندن.. لكن المؤكد أنها كانت أكبر من ذلك الرقم الذى ذكره ريجان.. وأقل من ٤٠٠ مليون جنيه وهو الرقم الذى أشار إليه عثمان أحمد عثمان فى مذكراته.

منطقة كانت تستخدم قديماً كتجمع لإسطبلات الخيل التى تقود عربات نقل البضائع بطول قناة ريجنت .. إلي معرض مفتوح لأعمال الفنانين والنحاتين .. بقرار من بلدية المدينة .. وحولها الى منطقة سياحية متميزة بالشكل الذى ساهم في جذب عدد كبير من السياح إليها .. واشترى أراضى ومبانى ومخازن قديمة للسكك الحديدية بالمنطقة وأزالها .. وشيد مكانها أبراجاً وعمارات حديثة وحقق الرجل المجهول من وراء ذلك أرباحاً خيالية .. أثارت حفيظة وغيرة رجال المال والأعمال هناك بعد أن استأثر بالكعكة بمفرده .. ولم يكن ذلك الرجل سوى أشرف مروان ..

ووقتها لم يكن أحد فى لندن يعرف الكثيرعن أشرف مروان .. وعندما بدأ رجال الأعمال يتساءلون: من يكون هذا الشخص المجهول .. ويفتشون وراءه .. اكتشفوا أن المشروع تم تنفيذه من خلال شركة تسمي "كوبرا " .. وتأكدوا أن هذا الرجل قام بالمشروع لحسابه وحساب آخرين دعموه بالمال اللازم .. فبدأوا يبحثون: لصالح من يعمل؟.. وجندوا لذلك شخصاً مصرياً يسمى "علي أمين"- غير على امين الكاتب الصحفى بالطبع - يملك مقهي صغيراً اسمه « تشيكرسي »[1] يقع فى تلك المنطقة وتحديداً أمام إسطبلاتِ الخيل القديمة .. الرجل كان بطلاً سابقاً للشطرنج فى مصر واشتهرالمقهي برواده الذين كانوا جميعهم من هواة لعبة الشطرنج .. كما كان يعمل من قبل فى قسم الشئون المصرية بهيئة الإذاعة البريطانية.. وهو ما ساعده فى تكوين شبكة اتصالات قوية بجهات مختلفة فى لندن، مكنته من مطالعة ملف أشرف مروان المحفوظ فى السفارة المصرية هناك .. فاستطاعوا بذلك رسم صورة واضحة عن غريمهم المجهول والذى هبط فجأة على عالمهم الخاص .. وبدأوا يتعاملون معه من هذا المنطلق مما أورث الرجل الذى يبدو أن قدره كان الصدام الدائم مع الآخرين عداوات جديدة ..

١-تعنى بالعربية : كش ملك..

علاقته بتايني رولاند !!

وكانت أهم الصداقات التى مكنت أشرف من اقتحام عالم المال والأعمال فى عاصمة الضباب بقوة .. هى علاقته مع "تايني رولاند" الملياردير البريطانى المشهور، الذى كان يمتلك صحيفة "الأوبزرفر" قبل أن يبيعها الى "الجارديان" .. وينتمى "رولاند" إلى عائلة بريطانية عريقة تمتلك إمبراطورية مالية ضخمة عاملة فى بريطانيا والعديد من دول العالم .. وتسيطر على قطاع كبير من الإقتصاد البريطانى..

وكانت العلاقة بين أشرف مروان ورولاند قد بدأت عام ١٩٧٩ عندما اشتري أشرف مروان ٤٠ فى المائة من أسهم شركة "تريدز ويند" التى ينصب عملها الأساسى على تجارة السلاح، كان " رولاند " يملك باقي أسهمها باسم شركة عائلته وكان مروان مديراً لها فى ذلك الوقت .. وكان هذا هو أول بيزنس رسمى بينهما.. وقد استطاع مروان هو وأحد مدراء الشركة الآخرين عرف باسم "دام" فى الصحافة العالمية والمرجح أن المقصود به هو أحمد قذاف (الدم) إبن عم الرئيس الليبى، والذى كان يرتبط بعلاقة خاصة جداً مع أشرف مروان وتشاركا معاً بحسب بعض المصادر فى تجارة السلاح على المستوى الدولى - تحقيق أرباحاً خيالية وسريعة من وراء ذلك.. لكنهما دخلا فى صدام مع الحكومة الأمريكية بعد اتهامهما برشوة اثنين من عملاء المخابرات المركزية، وهما "أدي ويلسون".. و"فرانك تربل".. وبسبب تلك القضية تم وضع اسم كل من مروان ودام علي قوائم المطلوبين فى الولايات المتحدة .. لكن علي ما يبدو نجح أشرف مروان فى إنهاء تلك المشكلة فيما بعد حيث ثبت تردده وسفره لأكثر من مرة بعدها إلى الولايات المتحدة .. وكشفت اعترافات عميليّ المخابرات المركزية المتورطين فى القضية أن شركة "تريدز وند" التي كانت تبدو فى الظاهر كشركة طيران تجارية ما هى إلا ستار فقط .. بينما كان نشاطها الرئيسى هو تمويل منظمات معينة وتردد ذكر مجموعة أبو نضال الفلسطينية من ضمن تلك المنظمات.. واستغل دام ما تحت يده من أموال الشركة فى تحريك الشبكات السرية المؤمنة بالعنف، بما فى ذلك تسهيل وصول أسلحة ومتفجرات مختلفة لمجموعة أبو نضال..

مروان والحكومة الليبية .. !!

واستغل مروان صداقته بالحكومة الليبية وأقنعها باستثمار (١٢) مليون دولار من أموالها فى شركة عائلة رولاند .. تحديداً فى مجال الاستثمار الفندقى .. كما استغل علاقته بها من قبل فى عرض حق استغلال النفط الليبى لصالح شركة أوربية مقرها لوكسمبورج مقابل مليارى دولار.. وفى الوقت نفسه استغل الليبيون شركة تسمي "لافيكو أويل" فى استثمار بعض عوائدها المالية فى مجموعة "رولاند" فى لندن، التي كانت من جانبها تستثمر أموالها فى بيع وشراء العقارات داخل ليبيا، التي كانت تعاني وقتها من الحصار الاقتصادى بسبب قضية لوكربي الشهيرة.. وكانت هذه إحدى وسائلها لتبادل واستغلال الأموال والتحايل على كسر طوق الحصار الاقتصادى حولها ..

ووجد المحققون أن نصيب شركة "لونرهو" الداخلة فى الحسابات السرية لشركة "تريدز وند" كان مختفياً فى شركة ثالثة اسمها "إيمري" والتى كانت بدورها جزءاً من شركة مروان القابضة .. ويشيرهذا الكشف لأهمية الدور الذى لعبه مروان ضد حكومة موزمبيق التي كانت تدعمها إسرائيل، وذلك بمساعدة جماعة "فريملو" المسلحة للعمل على إسقاط الحكومة هناك .. بتحريض من الرئيس الليبى معمر القذافى الذى كان يرى أن إسرائيل تدعم حكومة موزمبيق للقيام بأعمال إرهابية ضده .. أى أن أشرف مروان باعتراف المخابرات الأمريكية نفسها كان يعمل ضد إسرائيل وليس لصالحها .. وهو ما يتنافى مع ادعاءات الموساد ..

وجرَّت تلك العلاقة أشرف مروان لواحد من أخطر منحنيات حياته .. وهى تلك العلاقة المرتبطة بعدوه اللدود "محمد الفايد".

أشرف والفايد !!

فعندما نزح مروان الى لندن كانت المعارك بين محمد الفايد والملياردير الإنجليزى "تاينى رولاند" على أشدها من أجل الفوز بصفقة محلات هاروودز الشهيرة وغيرها من صفقات .. وبحكم علاقات قديمة بين مروان والملياردير البريطانى وجد مروان نفسه داخل حلبة الصراع بين الاثنين، فاختار أن يقف بجانب صديقه البريطانى خاصةً أن مواطنه المصرى لم يكن يحمل أية مشاعر ودية تجاهه لعلاقة النسب بينه وبين عبد الناصر.. ولتشابك مصالح أشرف مع "رولاند" .. وشيئاً .. فشيئاً .. زادت حدة تلك الصراعات .. ودخل الصراع بين أشرف والفايد منعطفات كثيرة ومختلفة.. كانت جميعها تنبع دائماً من تعارض مصالحهما المالية بطريق مباشر أوغير مباشر.. ولصراعهما معاً قصة نبدأها من آخر محطاتها .. بعد وفاة مروان..

الفايد يتهم أشرف بالعمالة للموساد !!

أرسلت "كاثرين ويتى" مديرة شئون الصحافة والعلاقات العامة فى مكتب محمد الفايد خطاباً للرد على تقرير تم نشره فى صحيفة التايمز البريطانية حول موت أشرف مروان .. قالت ويتى فى الخطاب الذى خاطبت فيه السيد روبرت تومسون محرر الصحيفة :-

«فى مقالكم المنشور يوم (٢٨) يونيو حول الموت غير واضح الأسباب لأشرف مروان المليونير المصرى الذى تجسس لصالح الموساد والذى عثرعليه ميتاً .. وصفتموه بأنه كان (رفيقاً مقرباً) من محمد الفايد .. وهذا ليس حقيقياً، فالسيد محمد الفايد لم يكن له على الإطلاق أى علاقة بيزنس أو تعامل شخصى من أى نوع مع السيد مروان، لاسيما فى ضوء علاقة أشرف مروان الوثيقة مع الرئيس جمال عبدالناصر .. إن الربط بين أشرف مروان بسمعته المشبوهة هو أمر مؤذٍ للسيد الفايد وغير مقبول، ونكون شاكرين إذا ما نشرتم تصحيحاً لذلك» ..

العدو اللدود ..

والأكيد أن هذه اللغة العنيفة التى استخدمتها مديرة شئون الصحافة والعلاقات العامة، إنما تعبرعن موقف محمد الفايد نفسه من أشرف مروان الذى كان يعتبره بالنسبة له غريماً وعدواً لدوداً .. فالمعروف أن الفايد الذىغادر مصر بعد تأميم ثروته فى عهد الرئيس عبدالناصر، كان ينظر إلى مروان من علياء باعتباره ينتمى كما قلنا عائلياً إلى عبدالناصر غريمه الشخصى والرجل الذى كان يرى فيه عدوه الأول، والذى قضى بجرة قلم على ما حققه طوال سنوات شبابه الأولى فى مصر من ثروة، وكاد يتسبب فى تشريده هو وعائلته بالكامل .. وجاء زوج ابنته وراءه الى منفاه الاختيارى فى لندن ليواصل مسيرة صهره الراحل ويخوض ضده حروباً أخرى .. فحرص تماماً على أن ينفى كل علاقة له من قريب أو بعيد بأشرف مروان .. كما صرح الفايد بكل وضوح من خلال صيغة الخطاب الذى أملاه على مديرة مكتبه، والتى أرسلته بدورها لمحرر صحيفة التايمز بعلاقة أشرف مروان بالموساد .. وهو تصريح غير مبرر اللهم إذا كان الفايد يملك من المعلومات فى هذا الاتجاه ما لا يملكه غيره .. أو أنه من فرط كراهيته لمروان يردد بجهل شديد ما يقوله الآخرون..

السبب رولاند .. !!

أما السبب الأساسى لكل هذا الكم من العداء فهو بحسب ما أكدته تحقيقات بريطانية رسمية، هو صراع "الفايد" مع "رولاند" لشراء شركة "هاوس أوف فريزر" المالكة لمحلات "هاروودز" التى تحتل أهمية خاصة فى السوق المالية فى بريطانيا تحديداً وأوربا عامةً .. وتعتبر أحد أهم معالم العاصمة البريطانية .. والمعروف أن الملكة إليزابيث وباقى أفراد العائلة المالكة يشترون لوازمهم وملابسهم من هناك .. وذلك فى صفقة بلغت قيمتها مئات الملايين من الدولارات .. وثبت أن رولاند كان يتحرك فى هذه الصفقة من خلال مروان الذى كان واجهةً له لأسباب

مجهولة .. وساهم أشرف مروان بدور كبير ومؤثر فى الحرب الدائرة بين "الفايد" و"رولاند" علي تلك الصفقة .. وتسببت تلك الحرب فى خسائر كبيرة للطرفين .. حتى أصبح كل من الفايد ورولاند لاهم لأحدهما سوي تدبير المصائب للآخر.. وتدخل مروان لصالح صديقه البريطانى .. وسانده وخاض معه حرباً شرسة ضد الفايد بكل قوته لإفساد الصفقة على الفايد .. وأيد رولاند فى تصريحاته التى كان يدعى فيها أن الفايد لا يعمل بماله ولايشترى هاروودز بفلوسه .. وإنما بالنيابة عن سلطان بروناى وعدد من تجار السلاح .. فى موقف يقال إن مروان كانت له حساباته الخاصة فيه مع بريطانيا الدولة التى يتحرك على أرضها كيفما شاء .. وكان عليه أن يساندها فى موقفها الذى اتخذته ضد شراء «الفايد» لهارووديز وكانت الحكومة البريطانية تفضل بالطبع أن يشترى تلك المحلات مستثمر إنجليزى وطنى.. وليس العكس .. وهو على كل الأحوال ما باء بالفشل فيما بعد حيث تمكن الفايد من الاستحواذ على الصفقة بعد أن حسمت ملياراته التى قدمها ثمناً لتلك المحلات العريقة الموقف لصالحه .. وجاءت موافقة وزير التجارة البريطانى على شراء الفايد لـ(هاردوز) .. فى نفس يوم زيارة الرئيس المصرى حسنى مبارك لانجلترا منتصف مارس ١٩٨٥ أثناء عودته من رحلته إلى واشنطن.. وأقامت الحكومة البريطانية حفل عشاء على شرف الرئيس المصرى دعّت إليه (محمد الفايد).. وتولت مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية آنذاك والتى كانت تلقب بالمرأة الحديدية تقديم الفايد بنفسها للرئيس المصرى وهى تقول له (هذا هو البطل المصرى الذى اشترى أكبر محلاتنا).. وصافح مبارك الفايد بكل فخر.. وفى اليوم التالى تصدرت صور الفايد مع مبارك ورئيسة الوزراء الصحف المصرية.. والعربية.. والبريطانية.. مما أوغر صدر تاينى رولاند ضد الفايد أكثر وأكثر.. ولأن حسرته على ضياع الصفقة التى كان قاب قوسين أو أدنى منها كانت حسرة مريرة، فقد لجأ رولاند إلي مروان واستعمل شركة تابعة للأخير تسمي "أكتوجين" كستار ليعين فيها عملاءً سريين تابعين له برئاسة قائد شرطة إنجليزى يدعى "ديفيد كولين" لترسم وتخطط وتنفذ

المؤامرات ضد الفايد .. وهكذا .. وبدايةً من ذلك التوقيت .. ارتبط كل من أشرف مروان ومحمد الفايد بسيناريو واحد بعد أن تضاربت مصالحهما المالية بقوة .. حتى وإن كان ذلك بطريق غير مباشر .. وبدأت الحرب المعلنة وغير المعلنة تحتمل بينهما أى شيئ .. وكل شيئ .. وأصبحت جميع الأوساط المالية فى العالم أجمع تنظر إليهما وتتعامل معهما باعتبارهما عدوين لدودين، لا يتفقان إلا فى الجنسية المصرية التى يحملانها، والتى بدلاً من أن توحد مصالحهما وتجمع بينهما .. ضاعت من حساباتهما فى خضم الصراع الذى امتد بينهما بلا نهاية ..

سلطان بروناى .. !!

ومن أشهر الكتب التى تعرضت لصراعات الطرفين، كتاب "من قتل ديانا؟" الذى وضعه الكاتب البريطانى الشهير الذى أشرنا لإسمه من قبل وهو "سيمون ريجان"، وهو من كبار الصحفيين العالميين المتخصصين فى متابعة قضايا وملفات المافيا وتجارة السلاح والاغتيالات السياسية.. وخصص "ريجان" أحد فصول الكتاب للحديث عن أشرف مروان وقال فى كتابه .. إن الصراع بين الاثنين استخدمت فيه أطراف عربية وأجنبية، وحيك فيه الكثير من المؤامرات والاتهامات بمحاولات اغتيال واستخدام قضايا وأسرار ووثائق ضد بعضهما البعض.. وكان التنافس يدور بالأساس علي محلات "هاروودز" الشهيرة فى بريطانيا .. لكن المنافسة الأخطر كانت علي أسبقية إقامة علاقات وثيقة بسلطان بروناي "حسن بلقيه" الذي يعتبر أغني شخصية فى العالم.. مما يتيح لأي منهما التوسع فى مجال البزنس الخاص به ..

٣٠ ألف كلمة اتهام ضد أشرف .. !!

بعدها قام الفايد بتجهيز وترتيب ملفات ضد مـروان ورولانـد وغيرهما من خصومه ووزعها علي الشرطة والجرائد .. وكانت الملفات تضم مستندات يصل عدد كلماتها إلي ٣٠ ألف كلمة .. وخلال العشر سنوات الماضية كانت هناك مواد منشورة عن مروان وشركائه من وقت لآخر أغلبها ليس فى صالح أشرف مروان .. ورغم ذلك فإن أجهزة الحكم فى بريطانيا لم تقترب من مروان بالشكل الذى يتناسب والمعلومات التى قدمها لهم الفايد .. ولا فكرت واحدة من تلك الجهات فى محاسبته أو منعه من البقاء .. وهو أمرغريب جداً خاصة مع ما يعرف عن الحكومة الإنجليزية من تشدد غير عادى مع المقيمين بها من جنسيات مختلفة، مثل ممدوح حمزة المهندس الاستشارى المصرى الشهير الذى ألقى الإسكوتلانديارد القبض عليه فقط، لمجرد توافر معلومات غير مؤكدة عن نيته التخطيط لارتكاب جرائم قتل على أرض بريطانيا .. لكن المؤكد أن أشرف كان له علاقات تحميه مع جهات مؤثرة ونافذة .. ليس فى بريطانيا وحدها وإنما أيضاً فى مصر ودول أخرى ..

اتهامات الفايد .. !!

ويؤكد محمد الفايد لـ "عبد الله كمال" رئيس تحرير روز اليوسف فى الحوار الذى أجراه معه فى مكتبه بلندن بعد وفاة مروان بعدة أيام .. بأنه لا يوجد بينه وبين أشرف مروان صراع شخصى .. لكنه أشرف هو الذى انضم إلى رولاند فى مسألة الصراع على هارووذ .. واتهمه بأنه أخذ من « رولاند » مبالغ مالية حددها فى نفس الحوار بأربعة أو خمسة ملايين جنيه استرلينى.. لكى يجمع لرولاند معلومات عنه من مصر يسىء بها إلى سمعته .. وعلى حد تعبير محمد الفايد فإن أشرف مروان حاول بعدها أن يتقرب منه وأن يعتذر له .. لكنه لم يتقبل ذلك منه..

فشل محاولات الصلح .. !!

وقد حاولت أطراف عديدة التدخل بين مروان والفايد لإنهاء الصراع وتهدئة النفوس بينهما، ومن هؤلاء السفير المصرى فى لندن جهاد ماضى .. الذى قام ذات مرة بدعوة كليهما إلى عشاء فى مقر سكنه ضمن أعداد أخرى من الشخصيات العامة .. ثم اتصل بكليهما لكى يعرف ملاحظات كل منهما حتى يراعى ذلك فى ترتيبات العشاء .. وقال أشرف من جانبه إنه لا توجد مشكلة .. بينما لم يذهب محمد الفايد بعد قبوله للدعوة ..

كما حاول ذلك أيضاً على الفايد شقيق محمد الفايد .. الذى صادف أشرف مروان فى صالون الحلاقة الذى كان يذهب اليه الاثنان .. واتفقا على تصفية الأمور .. ولم تنجح المحاولة .. واستمر الصراع بينهما .. ليس باعتبارهما رجال أعمال وأصحاب ثروات فقط .. بل أحياناً تجاوز الأمر ذلك لمجالات أخرى، مثل التنافس فى التبرع للأنشطة العامة التى تخص الجالية المصرية هناك .. فعندما تبرع أشرف مروان بمائة ألف جنيه استرلينى لشراء المبنى الذى بدأت فيه الجالية نشاطها .. وهو ما يساوى ربع قيمة العقار وقتها .. قيل إن الفايد رفض التبرع هو الآخر لأن أشرف مروان سبقه فى ذلك .. واشترط لموافقته على التبرع بأن تعيد الجالية لأشرف المبلغ الذى تبرع به بالكامل .. ووعد فى حالة تنفيذ ذلك بأن يقوم هو فوراً بدفع إجمالى الثمن المطلوب للشراء .. وقوبل وقتها هذا الطلب بالرفض من القائمين على شئون الجالية هناك، مما جعل الفايد خارج قائمة مؤسسى الجالية .. وبعد وفاة أشرف مروان لم يحضر الفايد أىٍ من العزاءين اللذين أقامتهما له السفارة والجالية فى يومين متتاليين ..

صراعاته فى مصر.. !!

وتعددت قائمة أعداء أشرف مروان كنتيجة طبيعية لتزايد نشاطه المالى والتجارى، وعندما حاول أن ينقل جزءاً من نشاطه إلى مصر، دخل فى صراعات

متعددة مع بعض رجال الأعمال المصريين بالقاهرة والشرق الأوسط لعبوا أدواراً مهمة ضد نشاطات مروان التجارية المتعددة التى كان يدير بعضها ابناه "جمال" و"أحمد" فى مجالى الأوراق المالية والإعلام .. وسقط الاثنان فى بحور من المشاكل لا أحد على وجه التحديد يعرف إن كانت بسبب سوء إدارتهما لأعمالهما الخاصة.. أم بسبب عداوات أبيهم؟. لكن المؤكد أن كليهما كان ضيفاً على ساحات المحاكم التى شهدت بعضاً من هذه القضايا .. فأحمد- وهو بالمناسبة كان زوجا لـ "هانيا " ابنة عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية ووزير الخارجية المصرى السابق- وقع فى مشاكل مالية كبيرة بسبب تعثره فى إدارة شركته الخاصة "سيجما "، التى كانت تعمل فى مجال سمسرة الأوراق المالية وأصبح مهدداً بالسجن أو سداد مبالغ مالية وصلت إلى ١٥٠ مليون جنيه، وتم تقديمه لمحكمة الجنايات ومنعه من السفر .. ولولا تدخل والده وصديقه المليونير السعودى الشهير "فهد الشويكشى" لحدث ما لا تحمد عقباه ..

وهو أيضاً ما حدث بشكل آخر أقل حدة مع ابنه جمال الذى يملك ويدير قنوات "مولدى" الفضائية، حيث دخل فى صراعات كبيرة مع نجيب ساويرس بسبب قضايا شيكات وإيصالات أمانة متبادلة بينهما وتم منعه من السفر بقرار من المحكمة، وقبل وفاته بأسبوع اتصل به والده ونصحه بأن ينهى مشاكله فى أسرع وقت مع ساويرس، وحوَّل له مبلغ مليون دولار لإنهاء تلك المشكلة .. ويبقى سر آخر كشفت عنه مؤخراً الصحافة المصرية .. وهو بأحد الصحفيين المصريين يطلب منه مستندات خاصة بفساد وطلبات إحاطة مقدمة فى مجلس الشعب ضد أحمد عز واهتمامه الشديد بهذا الموضوع فماذا كان فى جبعبة أشرف بخصوص أحمد عزّ.. سؤال بقى بلا إجابة!! ..

علاقته ببرجمان !!

من غرائب ملف أشرف مروان هذه العلاقة .. التى بدأت عدائية .. وانتهت ودية .. بشكل يطرح العديد من علامات الاستفهام[1] ..

المهم أن برجمان يقول إنه جمعه لقاء شخصى واحد فقط بأشرف مروان .. حدث ذلك يوم ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٣ .. وكان هذا هو اللقاء الأول والأخير بينهما .. ودار فى بهو أحد الفنادق بلندن .. ويومها كما يقول برجمان كان أشرف متوتراً بشكل غريب .. لكنه كان على المستوى الإنسانى رائعاً .. وبدأ بيننا الحوار وكان يتلفت يمنةً ويسرة بشكل مثير للانتباه .. وعندما مددت يدى لأعدل الكرافت الخاص بى ازداد توتره وكأنه يخشى أن أكون أسجل حوارى معه .. أو أصوره مثلاً بطريقة ما .

ويؤكد برجمان أن إهتمامه بموضوع أشرف مروان كان قد بدأ قبل ذلك بسنوات طويلة، وحتى قبل أن يتمكن من فك طلاسم ومعرفة الشخصية الحقيقية لمن تطلق عليه ملفات الموساد تسمية" الصهر "أو" العميل بابل" وتحديداً بعد أن قرأ كتاب إيلى زاعيرا "الأسطورة مقابل الحقيقة " الذى صدر عن حرب أكتوبر عام ١٩٩٣ ،وعرض فيه بشكل غامض لشخصية مصرية رفيعة المستوى لعبت دور العميل المزدوج بين الجانبين المصرى والإسرائيلى .. فبدأ بعدها برجمان رحلته لكشف حقيقة هذه الشخصية، وأخذ يتابع ويقرأ ويحلل كل ما كتب عن حرب أكتوبر وما صاحبها من أحداث طوال هذه الفترة، حتى تمكن أخيراً من تحديد هويته والوصول إلى قناعته الشخصية فى هذه القضية .. التى يصفها برجمان فى كتابه قائلاً.. بالنص:-

"إن إسرائيل سقطت فى السادس من أكتوبر فى فخ نصبه لها عميل مزدوج.. نجح فى تضليل وخداع جهاز المخابرات الإسرائيلية فى مرحلة ما قبل حرب أكتوبر.. ونجح هذا العميل فى اتباع استراتيجية بعيدة المدي .. بدأت بتقديم

١- خاصةً أنه تردد فيما بعد أن الصحفى الذى كان يتولى كتابة مذكرات أشرف مروان .. ورفض أشرف أكثر من مرة التصريح باسمه .. لماذا ؟ .. لا أحد على وجه التحديد يعلم السبب ..

معلومات صحيحة وقيمة لكسب ثقة الإسرائيليين .. مما زاد يقين الإسرائيليين بأن العميل بابل كان ركناً أساسياً فى فشل إسرائيل فى حرب أكتوبر" ..

كانت مصر كلها هناك .. !!

ويذكر أنه بعد أن إلتقى بمروان بدأت علاقتهما تأخذ حيز الاهتمام المتبادل حتى وأن لم يلتقيا بعدها أبداً .. وفى لقائهما المشار إليه يقول إن أشرف أكد له أنه هو الذى كان يكتب كل خطابات السادات .. وعندما سأله عن حقيقة لعبه دورالعميل المزدوج، رد عليه أشرف قائلاً : ـ

"إنه كان يعمل ضمن مجموعة تضم ٤٠ فرداً .. مهمتها أن تعزز لدى الجانب الإسرائيلى مفهوم أن مصر لن تستطيع أبداً دخول الحرب على الأقل لعدة سنوات قادمة " ..

وعاد ليسأله نفس السؤال الذى كان يبدو أن أشرف يتهرب منه بطريقة دبلوماسية.. لكن هذه المرة عندما كان أشرف يستعد للقيام بعملية جراحية خطيرة فى القلب بأمريكا، وكان أشرف هو الذى طلبه على هاتفه المحمول واستمر الحوار بينهما لمدة ٤٠ دقيقة .. وعندما كرر برجمان نفس سؤاله القديم، رد عليه أشرف هذه المرة بجملة يقول برجمان إنه لن ينساها أبداً .. قال له : ـ

"لم يكن هناك عميل مزدوج .. ولكن كان هناك مصر كلها" ..

واهتم برجمان بعد ذلك بأن يبقى علاقته بمروان دائماً فى دائرة التواجد من حياة واهتمامات الأخير .. وكان يهتم بأن يجمع لمروان ما تنشره الصحف الإسرائيلية بخصوصه ويرسله له .. وكان آخر مرة عندما جمع له بعض ما كتب فى الصحافة الإسرائيلية تعليقاً على حكم المحكمة فى قضية زعيرا، والتى كان هو محورها ووضعها فى مظروف وأرسلها إليه، فاتصل به مروان على هاتفه المحمول

ودار بينهما الحديث التالى :-

برجمان : سلام .. كيف الأحوال؟

مروان : على ما يرام .. كيفك حالك أنت ؟. لقد استلمت مظروفك ..

ثم أخذ برجمان يحكى لمروان تفاصيل ونتائج الحكم الذى انتهت إليه المحكمة الإسرائيلية .. وسأله مروان: وما هى نهاية ذلك؟

برجمان : فى النهاية نشر القاضى اسمك ولدى التقرير الخاص بالحكم .. لكنى لن أستطيع تبليغك إياه حتى لا أتهم بأشياء ربما لست مضطراً لتبليغها ..

مروان : فهمت!!

وتعهد برجمان أن يحضر معه فى لقائهما القادم حكم المحكمة ليراه مروان بنفسه .. وانتهى بينهما الحوار بتبادل الكلمات التالية ..

برجمان : بشكل عام كيف حالك؟

مروان : على ما يرام باستثناء ذلك الصداع ..

وكان مروان يقصد الكتابات التى تروج لها الصحافة الإسرائيلية ضده وما كانت تسببه له بلا شك من مشكلات عديدة على كافة الأصعدة ..

وأصبح مروان شخصاً آخر .. !!

ويؤكد برجمان أن أشرف اتصل به قبل وفاته بفترة وجيزة ثلاث مرات فى ساعة واحدة، وهو ما لم يحدث من قبل على الإطلاق وترك له ثلاث رسائل على جهاز "الأنسرماشين" .. ويصف ذلك بقوله إن اتصال أشرف بهذه الصورة إنما كان بلا شك يعبرعن أزمة شديدة كان يمر بها الرجل .. فلم يكن هذا أبداً هو أشرف مروان الذى أعرفه .. كان شخصاً مختلفاً ..

عقدة ذنب .. !!

والمؤكد أننا نلمح من بين ثنايا حديث برجمان تعاطفاً واضحاً مع الرجل الذى كان هو نفسه السبب الرئيسى فى كشف شخصيته وفضح دوره، الذى ظل طى الكتمان قرابة الثلاثين عاماً، وقد صرح برجمان للعديد من الصحف العالمية بعد مصرع أشرف مروان أنه يشعر بعقدة الذنب فى كشفه شخصية أشرف مروان، الذى من المحتمل أن يكون دفع حياته ثمناً لهذا الكشف .. ولكنه على حد تعبيره قد يلتمس لنفسه العذر لأنه كان يؤدى عمله المطلوب منه كصحفى يبحث عن الحقيقة ليقدمها للناس.. فى نفس الوقت الذى كان فيه أشرف يؤدى هو الآخر عمله لخدمة بلاده .. "فقد كان كل منا يؤدى عمله بالشكل الصحيح، لكن كان أشرف مروان من وجهة نظرى جاسوساً أكثر من اللازم" ..

إلى بطل مصر .. !!

بلا شك كان برجمان يقصد أن أشرف كان جاسوساً لصالح وطنه، وكان مقتنعاً تماماً بذلك بدليل أنه اعترف فى نفس الحديث بأنه أهدى أشرف كتابه الأول، وكانت صيغة الإهداء كالتالى :-

"إلى أشرف مروان بطل مصر"

وكانت صرختة التي أطلقها "برجمان" فى وجه الجميع هناك بقوله لصحيفة "يديعوت أحرونوت" :

"علي الجدل الإسرائيلي حول أشرف مروان أن يتوقف .. لأن أشرف مروان كان مجرد بطل قومي مصرى .. وصورة مبارك الذي قاتلنا فى حرب أكتوبر وهو يحتضنه بمودة وتقدير كبيرين أبلغ من ألف سجال أكاديمي .. هذا إن كنتم تعلمون" .

الفصل الرابع

آخـر الرحلة!!

جلست منى بعد انصراف المعزين فى شقة لندن .. والتى شهدت أجمل أيام حياتها مع زوجها الراحل .. كانت شلالات الدموع لاتزال تنهمر من عينيها وهى تنظر لكل ركن وقطعة أثاث بالشقة .. وتتذكر أيامهما معاً فى العاصمة البريطانية..

أحلى الأيام .. !!

كان طبيعة عمل أشرف مروان تفرض عليه التنقل الدائم بين القاهرة والعديد من دول العالم طيلة العام .. أما أحلى أيامه فقد يقضيها مع زوجته فى " ماربيلا" الإسبانية، التى يسافران إليها شهرى يوليو وأغسطس من كل عام .. للاحتفال هناك بعيد زواجهما فى السابع من يوليو .. بالفندق الخاص الذى كان يملكه أشرف.. وكانت تديره فيما قبل شركة شيراتون العالمية قبل أن يفسخ عقده معها ويتولى إدارته بنفسه .. ولهذا الفندق قصة طريفة.. حيث اشتراه أشرف مروان عام ١٩٨٠ مصادفة.. حيث كان يتناول عشاءه مع بعض أصدقاءه الأسبان بمطعم الفندق وانبهر بطرازه وجمال الطبيعة الخلابة التى تحيط به من كل مكان.. وأشاد بذلك فى معرض حديثه مع أصدقاءه أثناء العشاء.. فردّ عليه أحدهم قائلاً إن هذا الفندق كان معروضاً للبيع هذه الليلة بمبلغ سبعة ملايين دولار.. لكن اختلف أصحابه مع المشترين الذين أرادوا تخفيض المبلغ ورفضوا البيع.. عندها أخرج أشرف دفتر شيكاته.. وذهب إلى أصحاب الفندق فى نفس الليلة واشتراه بنفس المبلغ الذى حدده من قبل وهو السبعة ملايين دولار.. وعندما اعترض مرافقوه واتهموه بالتسرع فى

عملية الشراء.. أكدّ لهم أن الفندق قيمته الحقيقية لا تقل عن ٢٠ مليون دولار.. وبعدها تبين لهم بعد نظر أشرف مروان.. وتحول الفندق الذى يسمى (سونفيرا) إلى الفندق الأول بتلك الجزيرة الأسبانية الساحرة.. وكان من عادة أشرف وزوجته أن يستقبلا أصدقاءهما المقربين فى هذا الفندق أثناء إقامتهما السنوية به، ويقيمان لهم حفلات خاصة يستقدم أشرف خصيصاً لإحيائها من مصر المطرب عمرو دياب والراقصة دينا اللذين كانا أقرب الفنانين إليه .. وكان كريماً للغاية مع ضيوفه الذين كان ينفق عليهم بسخاء ويمنحهم ما يكفى للتسوق هناك .. بجانب هداياه الخاصة التى يعودون بها فى نهاية فترة استضافته لهم ..

تصريحات متأخرة..

قطع شرودها صوت جمال ابنها ممسكاً ببعض الجرائد ويقرأ بصوت عال مانشيت إحدى الصحف المصرية :

"تصريحات الرئيس مبارك بخصوص وفاة أشرف مروان".. لم تدعه منى يكمل قراءته.. خطفت منه الجريدة وهى تقرأ .. ثم زادت حدة بكائها وهى تقول: وأين كانت تلك التصريحات وسكاكينهم تنهش فى سيرته.. وتتهمه بالخيانة؟!.. لماذا جاءت تلك التصريحات متأخرة ..

مبارك يحتضن أشرف !!

وعادت بالذاكرة للوراء وهى تتذكر يوم السادس من أكتوبر ٢٠٠٤ عندما كانت أسرة الزعيم الراحل عبد الناصر جميعهم ملتفين حول قبره .. ينتظرون مقدم الرئيس مبارك كعادته كل عام .. لم يكن أشرف يحضر عادةً هذا اللقاء الأسرى السنوى .. كانت أشغاله وأعماله خارج مصر تحول بينه وبين ذلك .. لكن هذا العام تحديداً

وردت تعليمات لزوجها بضرورة حضوره إلى مصر ليقابل الرئيس فى نفس التوقيت ونفس المكان .. وجاء الرئيس .. الذى صافح أفراد الأسرة مصافحة رسمية جداً وربما شابها الجدية الشديدة وبعض التجهم من الطرفين بما يقتضيه الموقف.. فالحدث هو ذكرى وفاة .. والمكان أمام ضريح المتوفى .. ولكن حين صافح الرئيس أشرف تخلى عن ذلك الانطباع وبدا ودوداً للغاية .. وعلت وجوه الجميع ابتسامة حميمة .. خاصةً كلاً من الرئيس مبارك وأشرف مروان .. وكان لاشك أن الموقف ككل يحمل فى طياته رسالةً ما يريد الرئيس المصرى أن يوصلها للجميع .. وهى: كيف يمكن للرئيس المصرى وهو ليس فقط رئيس الدولة بل القائد الأعلي للقوات المسلحة المصرية .. والقائد السابق للقوات الجوية فى حرب أكتوبر .. وأحد أبرز قادة الحرب أن يحتضن خائناً ؟ .. إذ لو كان هناك ذرة من الشك فى أشرف مروان لما حدث ذلك ..

إنه هو .. !!

فى نفس التوقيت كان هناك ضابط مخابرات اسرائيلى يجلس وراء مكتبه يمارس عمله بمبنى الموساد، وهو المنوط به متابعة القنوات العربية .. وعندما شاهد هذا الموقف انتفض من مكانه ليصرخ قائلاً : إنه هو !! .. بعدها تم حفظ الشريط المسجل عليه هذا اللقاء مرفقاً به تعليق المخابرات الإسرائيلية فى جملة قصيرة تقول : "وهكذا .. لم يتبق مجال للشك .. فما كان الرئيس المصرى حسنى مبارك ليعامل أكبر خائن عرفته مصر فى تاريخها هذه المعاملة" ...

دعوة خاصة !!

وبعدها جاء الرد للمرة الثالثة من مبارك أيضاً عندما دعا أشرف إلى حفل زفاف ابنه جمال ..

لندن مساء التاسع والعشرين من يونيو ٢٠٠٧ !!

كان التعب والإرهاق الشديدان يستبدان بمنى عبد الناصر تماماً .. فهى لم ترَ النوم بعينيها من لحظة علمها بالخبر أثناء وجودها فى بيروت .. حيث سافرت من فورها إلى القاهرة .. ومن هناك إلى لندن .. فاستسلمت لسلطان النوم .. لكن أى نومٍ يطول عيون من يعيش لحظات الفراق الغامض .. والمفاجئ .. نفس الآلام .. والمرارة .. والشعور القاتل بالوحشة .. والغربة .. التى شعرت بها يوم وفاة أبيها .. يوم مات الزعيم عبد الناصر .. عندما خرجت مصر كلها عن بكرة أبيها .. تودع الرجل الذى لم يكن أباً لها هى وحدها .. بل كان أباً لكل مصريٍ وعربى .. الرجل الذى عاش حياته لأجل العروبة .. ومات حزناً على حلمه الذى لم يتحقق .. بعد أن وأده طوفان الخذلان العربى الذى أحاط به من كل جانب .. وأخذ يتلاشى أمامه .. يوماً وراء يوم .. والناس غير مصدقين .. يطوفون الشوارع .. يحملون صوره .. جنازات مهيبة تخرج فى كل محافظات مصر .. يلفون نعشاً فارغاً يحتوى أحلامهم .. وآمالهم.. وعشقهم للرجل الذى يتخيلونه راقداً فيه .. والحقيقة أنه مات جسداً فقط... بينما سكن للأبد فى وجدان كل مصريٍ .. وعربى .. وتساءلت بينها وبين نفسها: بالأمس شاركها الملايين من المحيط للخليج لوعة وفاة أبيها .. فمن يشاركها اليوم لوعة فراق الحبيب .. والزوج ؟ .. من بعد كل تلك الاتهامات التىّ طالت زوجها حياً.. واشتعلت أكثر بعد وفاته ولم يدافع عن نفسه.. وعندما كانت تسأله: ولِمَ الصمت ؟! .. كان يرد عليها بقوله : "ولا يهمك.. دعيهم يقولون ماشاءوا .. من ينظر إلى الشمس فى عز النهار ولا يراها يبقى مش عايز يشوفها .. مصر عندى أهم من نفسى ومن كل شيئ .. وسيأتى وقت يعرف فيه الناس الحقيقة .. ليس عن طريقى .. إنما عن طريق الدولة وقيادتها" ..

كنت جندياً أدّى دوره .. !!

وعندما طلبها منذ فترة بسيطة ليأخذ رأيها فى العرض الذى تلقاه من إحدى القنوات الفضائية الأمريكية عن طريق الصحفى العالمى "هوارد بلوم"، للظهور فى أحد البرامج التى تذيعها القناة للرد على ما تروج له إسرائيل ضده.. فرحت كثيراً فى البداية وأقنعته بالموافقة .. وأخيراً استجاب لها ووافق .. إلا أنه فاجأها باعتذاره فيما بعد .. دون إبداء أية أسباب لذلك .. وحكى لها تعليق الصحفى الأمريكى على رفضه، وكيف أنه حاول أن يستفزه للرجوع عن اعتذاره قائلاً له : إذن أنت خائف!!.. فرد عليه أشرف بقوله :-

"لماذا أخاف ؟ لقد كنت مثل جندى أدى دوره".. وأصرعلى إعتذاره مؤكداً له أنه سوف يقول كل ما لديه فى مذكراته التى ستصدر بعد حين .. ولن يتحدث إلا بعد أن ينتهى من كتابتها ونشرها ..

أين المذكرات ؟ !!

وهنا تذكرت منى موضوع المذكرات .. وقامت لتبحث عنها فى كل مكان بالشقة دون جدوى .. كأنها دخان وتلاشى .. كانت منى تعلم أنه كان تقريباً قد انتهى من وضع كلمته الأخيرة موثقة ومتكاملة فيما يخص سيرة حياته فى مذكرات واضحة اختار لها اسم "الحقيقة" .. وأكد لها قبل وفاته أنه حصل على إذن خاص من البنتاجون -وزارة الدفاع الأمريكية- للاطلاع على وثائقها الخاصة بحرب أكتوبر بغرض توثيق دوره فى الحرب، وإضافته إلى مذكراته التى كان بصدد الانتهاء من كتابتها، وكان من المفروض أنه مسافر نفس يوم وفاته للولايات المتحدة الأمريكية، لمراجعة الفصل الأخير منها تمهيداً لصدورها فى ثلاثة أجزاء كل جزء يقع فى مائتى صفحة باللغة الإنجليزية فى عيد النصر فى أكتوبر القادم .. فأين ذهبت تلك المذكرات؟ وأين ما أملاه منها على ذلك الصحفى الذى اختاره بنفسه ليقوم بتحريرها ومن هو هذا

الصحفى ؟. وأين ما تم إملاؤه منها ؟. هل بقى فى حوزة ذلك الصحفى المجهول ؟. وأين عشرات الشرائط المسجلة بصوته من تلك المذكرات؟. أسئلة كثيرة بقيت تتردد داخلها بلا إجابة !! ..

فى صباح اليوم التالى غادر الجميع الشقة متوجهين أولاً إلى المستشفى الموجود بها الجثمان ليلقوا عليه النظرة الأخيرة .. بعدها توجهوا بصحبة السفير المصرى لمقر الشرطة البريطانية ليتابعوا سير القضية .. وما بين شهادة الشهود.. والتحريات المبدئية .. وانتظار واستعجال تصريح الدفن .. عاشت أسرة أشرف أوقاتاً عصيبة.. وهم ينتظرون إفراج جهات التحقيق عن الجثة لإنهاء إجراءات شحنها إلى القاهرة..

فى سرادق العزاء!!

وفى مساء نفس اليوم أقامت السفارة المصرية عزاءاً خاصاً أوفدت إليه الدولة خصيصاً وزير الاستثمار محمود محيى الدين ليشارك أسرة الفقيد ورجال السفارة تقبل العزاء هناك.. وبعدها بيوم واحد أقامت الجالية المصرية فى لندن عزاء آخر حضره قرابة ٥٠٠ شخص من أبناء الجاليات المصرية والعربية فى لندن .. وكانت الجالية تدين لهذا الرجل بالكثير .. فلولاه ما ارتفعت لافتة "الجالية المصرية بالمملكة المتحدة" فوق المبنى الواقع بحى « كينزجتون أند تشيلسى » .. ذلك المبنى الذى خاض أشرف مروان من أجله معارك قانونية متعددة ونضالاً قانونياً عنيفاً مع مجلس الحى لكى تقام مراسم صلاة الجمعة فى المقر .. وفرض ذلك على الحكومة البريطانية التى كانت تعارض الأمر فى البداية وترفضه حتى نجح فى إقناعهم.. وبعد عدة سنوات تخللتها صراعات قضائية طويلة على ملكية العقار الذى يقع فيه المقر الخاص بالجالية، كان الوقت قد حان لإنهاء ملكيته لصالح الجالية .. وهوالأمر الذى كان يحتاج إلى حوالى ستين ألف جنيه استرلينى لمصاريف التقاضى.. وتحدد لذلك موعد بعد عدة أسابيع .. فاتصل بعض أعضاء الجالية بأشرف مروان ظهيرة يوم

الاثنين قبيل الوفاة بـ ٤٨ ساعة فقط، وعرضوا عليه الأمر وأشاروا إلى عجزهم عن تدبير المبلغ .. فطمأنهم أشرف .. وتعهد بتسليمهم شيكاً بكامل قيمة المبلغ المطلوب.. واتفقوا على اللقاء معه فى فندق "جلوفرنس هاوس" الواقع بمنطقة ماى فير وسط لندن يوم الخميس .. لكن اللقاء لم يتم حيث توفى قبل الموعد بيوم واحد.

الإفراج عن الجثمان !!

رنّ الهاتف فى يد منى .. كانت هى وابناها فى غرفة النائب العام البريطانى .. يتسلمون قرار الإفراج عن الجثمان .. كان على الطرف الآخر واحد من أحفادها يبكى .. وهو يسألها .. "تيته، هو جدو مات بجد" .. انهمرت الدموع فى عيون السيدة.. فقد كان الموقف ككل فوق احتمالها .. تناول جمال الموبايل من يد والدته.. وهو يهدئ من روع الطفل الذى كان يبكى بحرقة، وهو يتذكر آخر لقاء جمعه بجده عندما كانوا يحضرون لزيارته من وقت لآخر، خاصةً بعد انقطاعه عن زيارة مصر آخر ثلاث سنوات من حياته بسببٍ الادعاءات الإسرائيلية .. وكان يصحبهم إلى المسارح والملاهى ويقضون بصحبته أحلى أوقاتهم .. وقبل شهر واحد من وفاته اصطحب أحفاده جميعاً مع زوجتى ولديه جمال وأحمد إلى مسرح "سكوبيدو لايف شو" .. وانتظر كثيراً حتى وصلوا إليه عند باب المسرح .. واشترى لهم بعض اللعب والحلويات .. ثم دخلوا جميعاً لمشاهدة العرض..

انتهاء الإجراءات .. !!

انتهت الإجراءات فى دقائق معدودة .. خرجوا جميعهم من عند النائب العام البريطانى .. متوجهين إلى مشرحة المستشفى لتجهيز باقى الإجراءات .. فى الطريق أخبرهم السفير المصرى أنه أصدر أوامره لمكتب المتابعة بالسفارة ليقوموا بترتيب باقى الإجراءات .. من حجز الطائرة .. وإنهاء إجراءات شحن الجثمان ..

من لندن للقاهرة .. تفاصيل الرحلة الأخيرة .. !!

وفى اليوم التالى وهو يوم السبت الموافق الأول من يوليو ٢٠٠٧ كان كل شيئ قد انتهى .. حصلت الأسرة على صورة التقرير الطبي الخاص بفحص وتشريح الجثة موقعةً من الطبيب البريطانى "بول أنتونى" .. التقرير أرجع سبب الوفاة إلى وجود كسور متعددة بالجثة وانفجار بالشريان الأورطى ..وتم لصق صورة ضوئية معتمدة من قبل جهات التحقيق البريطانية أعلى الصندوق الذى احتوى جثمان أشرف مروان.. وفى سيارة خاصة تم حمل الجثمان إلى حيث مسجد المنتدى الإسلامى بلندن لتقام عليه صلاة الجنازة بإصرار وإلحاح من جميع أفراد الجالية المصرية هناك.. والذين تجمعوا حول المستشفى لحظة خروج الجثمان .. وساروا بسياراتهم خلفه فى مشهد لا تعيشه العاصمة البريطانية كثيراً .. وكأنهم فى مظاهرة حاشدة..

وفى الرابعة من عصر نفس اليوم كان جثمان أشرف مسجى فى صندوق يقبع أسفل طائرة شركة مصر للطيران العائدة إلى مصر فى رحلتها رقم ٧٧٨ .. تحركت الطائرة لتقلع من مطار "هيثرو" بلندن ذلك المطار الذى كان يُقلع.. ويهبط منه أشرف مروان أكثر من مائة وخمسين مرة فى العام الواحد فى الرابعة والنصف تقريباً .. لتصل إلى مطار القاهرة الدولى فى تمام الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء اليوم نفسه ..

وضع استثنائى .. !!

وعندما فُتحت أبواب الطائرة ظهرت منى عبد الناصر .. تلك السيدة التى كانت هى تميمة النجاح فى مشوار حياة أشرف مروان الحافل .. وكانت قبل عدة أيام فقط زوجته وأصبحت اليوم أرملته .. كانت تهبط درج الطائرة شبه منهارة تنظر لمن حولها بعيون تحجرت فيها الدموع غير مصدقةٍ لما يحدث .. تتحسس طريقها

إلى صالة كبار الزوار التى فتحت خصيصاً للأسرة يسندها من خلفها ابناها جمال وأحمد القادمان معها على نفس الطائرة مصطحبين الجثمان فى رحلته الأخيرة من لندن إلى مطار القاهرة، الذى كان يومها فى وضع استثنائى ربما لا يشهده إلا نادراً .. خاضعاً مباشرةً لإشراف الفريق أحمد شفيق وزير الطيران المدني المصري وقائد القوات الجوية الأسبق، الذى كان فى استقبال أسرة أشرف هو والدكتور زكريا عزمى رئيس ديوان رئيس الجمهورية .. وآخرون ..

وخصصت رئاسة الجمهورية سيارة إسعاف لنقل الجثمان من مطار القاهرة الدولي إلى مستشفى القاهرة التخصصي ..

وفى العاشرة والنصف تماماً من صباح السبت خرج الجثمان فى السيارة الخاصة إلى مسجد "عمر بن عبد العزيز" - بضاحية مصر الجديدة شرق القاهرة والمجاورلنادىهليوبوليس- المكان الذى شهد الشرارة الأولى لصعود نجم أشرف مروان لحظة تعارفه والتقائه للمرة الأولى بزوجته منى ..

وبدأت مراسم إقامة صلاة الجنازة على الجثمان الذى تم لفه بعلم مصر .. وقبل صلاة الجنازة ألقى الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر كلمة قصيرة قال فيها "جئنا اليوم لنودع رجلاً كان مخلصاً لدينه .. ووطنه".. ثم أمَّ شيخ الأزهر جموع المشيعين لأداء الصلاة على الجثمان .. كان يتقدم المصلين الدكتورأحمد فتحي سروررئيس مجلس الشعب، وصفوت الشريف رئيس مجلس الشورى .. وممثل رسمى عن رئاسة الجمهورية .. ورؤساء الأحزاب .. بالإضافة للعديد من السياسيين والنواب ورجال الإعلام والشخصيات العامة .. وغيرهم .. بالإضافة لجمال مبارك نجل رئيس الجمهورية .. واحتشد داخل وخارج المسجد آلاف المواطنين الذين كانوا ما يزالون يشمون فى الراحل عبق صهره الزعيم الكبير جمال عبد الناصر، الرجل الذى يأبى إلا أن يكون حاضراً على الدوام فى وجدان غالبيتهم .. وساروا خلف

سيارة الإسعاف التى خصصتها رئاسة الجمهورية لنقل الجثمان .. وتوقفت السيارة قبل المدفن بمائة متر تقريباً، حيث حمل النعش ولداه جمال وأحمد وبعض المشيعين.. وشقوا طريقهم إلى مقابرعائلة عبد الناصر بمدافن الضباط الأحرار بجوار كلية البنات بضاحية مصر الجديدة بالقاهرة ..

ووريّ الجثمان التراب وتم تشييعه إلى مثواه الأخير وسط أجواء غاية فى الحزن والأسى بشكل يكاد ألا يتكرر إلا نادراً، ويحمل فى طياته رسالة عنوانها الوحيد هو (الحقيقة) التى كانت واضحة وضوح الشمس لكل ذى بصيرةٍ يبصر ويدرك من الأمور حقائقها .. وانتهت جميعها إلى شيئ واحد وهو أن الرجل ماكان يوماً خائناً لوطنه .. بل كان ناسكاً .. زاهداً .. متعبداً فى محراب البلد التى عاش حالةً إنسانيةً ووطنية فريدة من نكران الذات لأجله ..

وفى المساء وبمسجد آل رشدان بمدينة نصر .. وقفت أسرة أشرف مروان تتلقى العزاء فى الرجل الذى أثار أكبر موجة من علامات الاستفهام فى تاريخ الجاسوسية فى الشرق الأوسط .. ثم رحل وتركها جميعاً بلا إجابة.

الفصل الخامس

إتهامات طالت أشرف مروان!!

كانت حياة أشرف مروان صراعاً دائماً .. فى كل وقت .. وكل اتجاه .. وطالته العديد من الاتهامات وصفته بأنه كان ضليعاً فى التخطيط والتمويل للعديد من العمليات الإرهابية الأخرى .. ذكرنا جانباً منها على هامش علاقاته الخاصة .. وتحديداً فى نطاق ما لاقاه من صراعات مالية .. لكن بقى اسم أشرف يتردد فى العديد من القضايا الأخرى .. وصل فيها الاتهام للقتل .. لكن أيضاً دون أدلة أو أسانيد تؤكد هذه الاتهامات أو تنفيها .. لعل أشهرها كان اتهامه بأنه وراء مصرع "الليثى ناصف" .. و"سعاد حسنى" .. و"ديانا ودودى الفايد"، وكانت كل هذه الاتهامات مُجرد ادعاءات .. وأقاويل بلا سند .. ولعل أشهر كتابين روجا لتلك الشائعات هما كتاب "حرب يوم الغفران" .. وكتاب "من قتل ديانا" .. الكتاب الأول ومؤلفه هو "برجمان" روج لكون أشرف وراء مصرع الليثى.. وسعاد حسنى.. والثانى مؤلفه هو "سيمون ريجان" وروج لضلوع أشرف فى قتل ديانا ودودى.. دون أن يشير أى كتاب منهما لدليل واحد يؤكد مزاعم مؤلفيه ..

ونبدأ بالحكاية الأشهر .. والأكثر شيوعاً وهى القضية التى هزت أرجاء العالم قاطبةً ..

حكاية ديانا ودودى !!

أجمعت معظم الكتابات التى تناولت هذه القضية على مدار العشر سنوات الماضية أن الحادث كان مؤامرة مدبرة ضد الأميرة والشاب العربي الأصل وحيد

أبيه .. وأغلب الظن أن بداية التعارف بين دودى والأميرة كانت فى إحدى زياراتها لمحلات "هاروودز " التى كان أفراد الأسرة المالكة بما فيهم الملكة اليزابيث نفسها يشترون منها احتياجاتهم كما أشرنا لذلك من قبل .. لكن تبقى الحقيقة التى أجمع عليها كثيرون وهى أن خصوم الفايد وأعداءه.. وما أكثرهم .. كانوا يتمنون قتل الفايد نفسه، لكنهم لم يجدوا أمامهم سوي قتل ابنه الكبير .. على الأقل ليشعروا بالسعادة لشعورالفايد بالوجع الشديد علي ابنه .. وكان أعداء الفايد قد استشعروا خطراً شديداً على مصالحهم الخاصة بعد ما تردد من عزم دودى الفايد والأميرة التى امتلكت القلوب فى انجلترا على الزواج .. وبات الزواج وشيكاً بعد ما تردد أيضاً أن الأميرة حامل بالفعل من دودى .. وهى فى نفس الوقت أماً لولى العهد الذى سيحكم المملكة إن آجلاً أو عاجلاً .. أى أن محمد الفايد من الممكن أن يصبح بين عشية وضحاها جداً لشقيق ملك بريطانيا القادم .. وما سيمنحه هذا الوضع له من مكانة اجتماعية وثقل اقتصادى غير مسبوق .. وعرفوا كيف يدبرون ويمولون أجهزة عالمية عالية الذكاء لكي تنفذ جريمة اغتيال كتلك يصعب كشفها وحل لغزها .. أما عن ديانا فلم تكن لتهمهم من قريب أو بعيد ..

وفى الكتابين حاول كل من المؤلفين إلصاق تهمة قتل دودى وديانا لمروان باعتباره أحد أعداء "محمد الفايد" اللدودين .. وأنه الوحيد من قائمة أعداء الفايد ممن له صلة وثيقة ومباشرة بأجهزة المخابرات التى نفذت تلك العملية.. كما أن دودى كان قد سبق وصرح فى الصحافة البريطانية بأنه يستعد لتصوير فيلم سينمائى عن حياة أشرف مروان اسمه (الطفل المعجزة) فرد عليه مروان مهدداً إياه باللجوء للقضاء البريطانى فى حالة حدوث ذلك.

حكاية الليثى ناصف !!

اختار الرئيس عبد الناصر "الليثي ناصف" لتأسيس وقيادة الحرس الجمهورى لثقته الشديدة فى شخصه .. ثم استمر الرجل فى منصبه أيام السادات .. بعدها قام بدورٍ هام فى اعتقال رموز مراكز القوى بدايةً من الفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة وعلى صبرى .. وسامى شرف .. وأحمد كامل المسئول عن المخابرات وقتها .. وشعراوى جمعة .. ولبيب شقير .. وعبد المحسن أبو النور .. وغيرهم.. وذهب إلى السادات فى منزله ليؤدى له التحية العسكرية ويطمئنه مؤكداً له أنه منذ تلك الليلة فقط يستطيع أن يحكم مصر .. بعد أن أصبح حاكمها الأوحد ويستطيع أن ينام ملء جفونه .. فكافأه السادات بتكريمه عام ٧٢ ومنحه رتبة الفريق وعينه كبيراً للياوران وقائداً للحرس الجمهورى .. وفجأة بعدها اتخذ قراراً بعزله من منصبه ونقله من السلك العسكرى إلىالسلك الدبلوماسى وعينه سفيراً لمصر بلندن .. هذا الرجل عثر عليه صباح الرابع والعشرين من أغسطس ١٩٧٣ جثةً هامدةً أسفل عمارة «ستيورت تاور» .. بعد أن سقط من الدور العاشر حيث كان يسكن هناك فى شقة أشارت بعض الكتابات فيما بعد أنها كانت تتبع جهازاً أمنياً مصرياً .. وكان فى هذه الفترة يعالج من تكرار إصابته بدوار شديد يعتريه من وقتٍ لآخر .. وبينما كانت زوجته فى إحدى الغرف بالشقة شعرت بتأخر خروجه من الحمام الذى كان قد دخله منذ وقت .. فطرقت عليه باب الحمام أكثر من مرة ولما لم تسمع إجابة فتحت باب الحمام فلم تجد زوجها .. ظنت فى البداية أنه قد خرج وارتدى ملابسه دون أن تشعر به، ونزل ليمارس رياضة المشى التى كان معتاداً عليها فى هذا التوقيت من كل يوم .. بعدها بدقائق سمعت طرقاً على الباب، وعندما ذهبت لتفتح فوجئت بضابط من الشرطة البريطانية يخبرها بأنه قد عثر على جثة زوجها أسفل البناية اللندنية الشهيرة .. وعندما هرولت إلى أسفل شاهدت جثة زوجها والشبشب الذى يرتديه فى قدميه كما هو .. ولم تجد آثاراً لأية دماء على الجثة(!!).. التبرير الشائع فيما بعد أن الليثى كان يقف فى شرفة الشقة وأصيب

بدوار شديد أفقده توازنه فسقط من الشرفة .. التصورغير الرسمى للحادث على لسان الزوجة أن هناك مجهولون اختفوا ليلة الحادث فى مكان ما بالشقة، وفى الصباح عندما واتتهم الفرصة تمكنوا من الرجل ووضعوا كمامة بها مخدرعلى أنفه ثم سحبوه إلى أسفل حيث قتلوه بطريقةٍ ما، وألقوه حيث عثر فيما بعد على جثته ..

مبررات الانتحار .. !!

هناك من قال إن الليثي ناصف كان مريضاً .. ومر بتراجعات وظيفية حادة بعد أن كان قائد الحرس الجمهوري واللاعب الأهم فى تصفية ما عرف بمراكز القوى فى بداية عهد الرئيس السادات .. وفجأة وجد نفسه خارج المضمار تماماً، فى الوقت الذى كان يتخيل فيه أنه أصبح الأقرب والأهم عند السادات وهو الذى قام بحمايته وسلم له مصر على طبق من ذهب، فوجئ بأنه يقصيه تماماً عن الطريق بعد صدامهما الشهير .. وعلى حسب ما أكده الدكتور محمود جامع أحد الأصدقاء الشخصيين للرئيس السادات فى مذكراته الشخصية، فإن الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري أنقذ السادات أيضاً من عدة محاولات اغتيال .. وأنقذ مصر كذلك من حرب أهلية حينما طلب الليثي من السادات إصدار قرار بأن تكون تبعية الحرس الجمهوري لرئيس الجمهورية وحده .. ويتم عزله تماماً عن الجيش .. وهو ما أتاح لليثي القدرة على التحرك والدخول بقوة للقبض على مراكز القوى.. وقام الفريق الليثى ناصف بتقديم استقالته من ديوان رئاسة الجمهورية والحرس الجمهوري .. بعد أن أراد رئيس الديوان حافظ إسماعيل تنظيم الديوان .. بحيث لا يتصل كبير الأمناء وقائد الحرس الجمهوري بالرئيس إلا عن طريقه .. وهو ما لم يرض الليثي.. وقَبِل السادات استقالته على الفور ..

عداء قديم !!

من ربطوا بين أشرف وتصفية الليثى ذكروا أنه كان هناك عداء كبير ومستمر بين الاثنين .. وأن الليثى كان هو المسئول الأمنى الذى يفتش ويبحث وراء أشرف أثناء ممارسة كل منهما لعمله فى رئاسة الجمهورية .. فأراد أشرف الانتقام منه .. وقيل إنه كان يعرف بحكم عمله السابق كرئيس للحرس الجمهورى الكثير من أسرار أشرف ..

حكاية السندريلا !!

سعاد حسنى فنانة كانت .. وما زالت تحتل من ذاكرة الجميع ما لا يستطيع الزمن أن يمحوه .. وهى واحدة من الفنانات اللائى تم استغلالهن بواسطة المخابرات المصرية فى الستينيات أيام رئاسة صلاح نصر للجهاز للقيام بأعمال مخابراتية .. وبناء عليه كانت تعرف الكثير من الأسرار التى لم يكن ينبغى أبداً أن تخرج للنور .. وفى خضم الحديث عن مذكراتها ونيتها فى بيعها مسجلةً بصوتها لإحدى القنوات الفضائية .. لقيت حتفها فجأة صباح يوم ٢٠ يونيو ٢٠٠١ .. وبالطريقة نفسها السقوط "أو الإسقاط" من الدور السادس .. عثر عليها جثةً هامدةً أسفل نفس العمارة « ستيورت تاور» التى كان يقيم وتوفى بها الليثى ناصف ..

مبررات انتحار السندريلا .. !!

قيل إن سعاد حسني التى انضمت إلى تلك القائمة دخلت فى أزمة مع نفسها أمام المرآة فرفضت صورتها التى لم تكن تتخيل أنها من الممكن أن تصل اليها فى يوم من الأيام .. باختصار رفضت الاعتراف بواقعها الجديد ومتغيرات الزمن .. وتكالب على «السندريلا» المرض والغربة وضيق ذات اليد .. فمهد كل ذلك لها اتخاذ قرارها بالانتحار .. وفوجئنا بها جميعاً وقد سقطت من شرفة منزل صديقتها "منى

يسرى" التى كانت تقيم لديها كضيفة بعد خروجها من المستشفى، حيث كانت تعالج من آلام الظهر وحالة الاكتئاب التي تعانيها منذ عام ١٩٩٨ .. ورغم أنه لم يتم حتى الآن الكشف أوالتوصل إلى الأسباب الحقيقية لوفاة سعاد حسنى .. فإن هذه القضية صاحبها جدل وأحاديث تقول إن سعاد كانت على وشك كتابة مذكراتها .. وأنها كانت تنوي كشف الكثير من الأسرار، حيث كانت على علاقات وثيقة برجال كثيرين فى عهد الرئيس عبد الناصر .. وتعرف الكثير من أسرار الكبار.. وحكتها كلها فى تسجيلاتها الصوتية وقيل أن اسم أشرف مروان كان من بين تلك الأسماء.. فاتخذ قراره بتصفيتها هى الأخرى ..

الموت الغامض (سر) عاصمة الضباب!!

وجاء الدور على أشرف مروان ليكون ثالث ثلاثة من أهم الشخصيات المصرية المعاصرة، كل فى مجاله، لقوا حتفهم بنفس الطريقة .. السقوط .. أوالإسقاط من شرفة أحد المنازل .. فى ذات الدولة بريطانيا .. وفى نفس العاصمة لندن .. وفى حالتى "الليثى" و"سعاد" كانا فى نفس المكان أسفل برج ستيوارت المشئوم.. وكانت كلمة السر دائماً فى حالات الموت الغامضة هي عزم المتوفىّ على كتابة مذكراته .. وهوأمر محير للغاية .. ويلقى بنا وسط ظلال معتمة من الإثارة والدهشة بلا حدود.. وكأننا نعيش حالة مشاهدة استثنائية من فصول مسرحية تراجيدية مستمرة .. فأشرف مروان الذى رحل ومعه العديد من الوثائق والمعلومات والأسرار التي كانت معرفتها بلا شك خطراً شديداً على الكثيرين، ما هو إلا فصل جديد من تلك المسرحية الغامضة .. ومجبرون نحن كمصريين وعرب على أن نتابع فصولها من وقت لآخر .. ليس لنا خيار حتى فى أن نذرف دموعنا وقتما نريد .. أو أن نضحك.. ونتفاعل مع الأحداث وفقاً لكيفية تواصلنا معها .. وعند إسدال الستار عقب كل فصل من فصولها ننظر فى أعين بعضنا البعض .. نتسائل جميعنا فى صوت واحد..

ونبرة يمتزج فيها الحزن بالألم : الدورعلى من ؟؟ .. وعلى من ستدور الدائرة .. فها هو أشرف مروان ينضم لليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري إبان حكم الرئيس السادات .. والفنانة سعاد حسني .. وعلى شفيق مدير مكتب عبد الحكيم عامر.. ويحيى المشد .. وعبد الحكيم عامر .. وغيرهم[1] ممن كان لا بد من القضاء عليهم.. لأسباب بقدر ما تبقى فى علم الغيب .. بقدر ما تخلق ساحةً للمنظرين والمحللين للإدلاء بتفسيراتهم ..

وعلى شفيق .. !!

ومن الأسماء الشهيرة التي لقيت حتفها فى لندن أيضاً .. ولكن عن طريق القتل المباشر .. ولم يعرف أحد حتى الآن من الجاني ولا الدوافع الحقيقية وراء قتله ؟ العقيد "علي شفيق" الياور الخاص بالمشير عبد الحكيم عامر وكاتم أسراره .. وزوج الفنانة "مها صبري" والتى تعرف عليها مصادفةً فى حفل عيد ميلاد الفنان أحمد رمزى، فى ملهى الأوبرج بالهرم.. وكان على شفيق وقتها متزوجاً من سيدة أخرى ولديه منه ولدان .. ولما بدأت تنتشرأنباء علاقته بها خيرّه عبد الحكيم عامر بين وظيفته واستمراره فى علاقته بها .. فاختارها وتزوجها وضحى بالكثير من أجلها كما ضحت هي أيضاً بالفن الذى كانت تعشقه بلا حدود .. وفى عام ١٩٧٧ تلقت عرضاً كبيراً من فندق "الأمبريس" بلندن للغناء هناك .. وبعد إلحاح شديد من جانبها وافق على شفيق خاصةً أنه كان قد بدأ يستقر هناك هو الآخَر نظراً لطبيعة عمله فى تجارة السلاح.. وفى الصيف من نفس العام فاحت رائحة تعفن شديدة من شقة على شفيق واستدعى الجيران الشرطة التى قامت بكسر الباب، لتفاجأ بجثة الرجل فى حالة تعفن شديد بعد أن مرّ على مصرعه عشرة أيام كاملة

١- الأسماء الأخيرة توفيت فى أماكن أخرى غير العاصمة البريطانية وإن اشتركت مع باقى الأسماء فى غموض مصرعها وما كانت تملكه من أسرار خطيرة..

.. وجاءت تحريات الشرطة فيما بعد لتؤكد أن الرجل تم قتله عن طريق ضربه بآلة حادة على رأسه، كان قد قتل أثناء إقامة حفل صاخب بالعمارة وذلك حتى لا يسمع أحد صراخه ..

الرجل كان محلاً للكثير من الادعاءات والأقاويل .. وكان يحمل فى جعبته الكثير من الأسرار الخاصة والمتعلقة بفترة هامة من تاريخ مصر لحساسية موقعه وقربه من المشير عبد الحكيم عامر الذى كان من أهم رجالها .. وكان بجوار الجثة حقيبة بها مليون دولار قيل إنها كانت عمولته فى صفقة سلاح .. فى دلالة واضحة على أن من قتله لم يقتله بدافع المال وإنما كان له دوافعه الأهم .. وهى طريقة عصابات المافيا المشهورة فى التعامل مع من يخرج عن قواعدهم .. وأنه كان يتعامل معهم وخالف تلك القواعد ومرر صفقة أسلحة لإحدى الدول دون أن يخطرهم بها.. فقتلوه عقاباً له على ذلك.. كما تردد أيضاً أن المبلغ كان عربون اتفاق بينه وبين إحدى دور النشر العالمية كان قد اتفق معها على أن يكتب لها مذكراته.. وبين هذا وذاك بقيت الحقيقة مجهولة إلى الأبد.

ضحايا آخرون !!

عموماً انضم أشرف مروان برحيله بهذا الشكل الدراماتيكى إلى قائمة المصريين والعرب من ضحايا الموت الغامض فى عاصمة الضباب .. فهناك كتبت كلمة النهاية فى حياة الأديب العربى الشهير "عبدالرحمن منيف" الرجل الذى فضحت كتاباته الروائية ما يدور فى السجون العربية ببغداد والرياض وعمان وغيرها من جرائم .. وهناك اغتيل "ناجى العلى" رسام الكاريكاتير الفلسطينى الشهير الذى عرَّى هو الآخر برسومه الشهيرة خذلان كل الأنظمة العربية وتفرق دمه بين منظمة التحرير الفلسطينية .. والموساد .. والبوليس البريطانى .. وهناك أيضاً مات "يوسف إدريس" .. و"نزار قبانى" .. وغيرهم .. وإن اختلفت أسباب وفاة كل منهم ما بين الوفاة الطبيعية للاسمين الأخيرين .. والموت الغامض والمجهول للأسماء الأولى ..

الفصل السادس
أسئلة بلا أجوبة !!

مات أشرف مروان .. وبقى ملف مصرعه مفتوحاً بكل احتمالاته .. أوراق الملف تحمل الكثير من علامات الاستفهام .. التى تشير بأصابع الإتهام إلى جهات مختلفة.. لكنها فى النهاية تحولت جميعها إلى أسئلةٍ بلا أجوبة ..

سر الصورة .. !!

وكان أشرف مروان حتي اللحظات الأخيرة من حياته يحمل فى جيبه صورة فوتوغرافية تسجل لحظة مهمة جداً فى تاريخه .. وهى اللحظة التى منحه فيها الرئيس السادات وسام الجمهورية من الطبقة الأولى .. وعندما تفجر ملف اتهامه بالعمالة للموساد كان لا يرد علي من يطالبونه بالدفاع عن نفسه .. بل يكتفي فقط بإخراج الصورة من جيبه فى دلالة علي أن الرئيس السادات لو كان يشك فيه ولو للحظة واحدة لما منحه هذا الوسام ..

لحظة السقوط .. !!

كان أحد أصدقاء أشرف مروان فى طريقه لزيارته عندما شاهده فى شرفة منزله وهو يتحدث فى الهاتف المحمول .. وبينما هو ينظر إليه فوجئ به يسقط بعد أن اختل توازنه .. وأكدت مصادر مقربة من أشرف مروان أنه كان يستعد للنزول من شقته لحضور اجتماع مع بعض رجال الأعمال .. وأنه توجه للشرفة ليشير لأحد منتظريه أسفل العمارة قبل أن يسقط ..

وبسؤال خادمته الخاصة التى كانت معه بالشقة لحظة وقوع الحادث قالت : - إنه كان يجلس فى مكتبه بالمنزل ثم سمعت صوت جرس الباب وذهبت لتفتح الباب فوجدت عدداً من الأشخاص يخبرونها بأن الدكتورأشرف قد سقط من الشرفة ..

الليلة الأخيرة .. !!

وكان آخر من شاهد أشرف مروان حياً من أقاربه شقيقته عزة، التى باتت معه الليلة الأخيرة بشقته هى وحفيدتها الطفلة الصغيرة .. وفى صباح اليوم التالى تناولت معه طعام الإفطار ثم ودعته وأخذت معها حفيدتها لتذهب بها إلى إحدى المستشفيات الخاصة خارج لندن، حيث كان مقرراً للطفلة أن تقوم بإجراء عملية جراحية فى نفس اليوم .. بينما كان آخر من سمع صوته هم موظفو مكتبه بالقاهرة ولندن .. حيث اتصل بمكتبه فى القاهرة قبل أن يلقى مصرعه بأقل من ساعة كعادته كل يوم واطمأن على سير العمل بالمكتب .. وأبلغهم بتعليماته الجديدة .. ثم تلقى اتصالات متكررة من مدير العلاقات العامة بمكتبه فى لندن يستعجله لحضور اجتماع مجلس الإدارة الذى كان مقرراً انعقاده فى نفس اليوم .. وكان أشرف يرد عليه فى كل اتصال بأنه قادم إليهم .. وفى الاتصال الأخير اعتذر أشرف لإصابته بإرهاق شديد وطلب فض الاجتماع وتأجليه ..

من هو الزائر المجهول ؟!

بينما يقول أحد الشهود إن هناك رجل أعمال تمتنع جهات التحقيق البريطانية عن ذكر اسمه حفاظاً على سرية التحقيقات، قد زاره فى منزله فى تمام الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح نفس اليوم، بعد أن غادرت شقيقته وحفيدتها المنزل .. وكان هناك سيارة خاصة تنتظر أشرف مروان أمام منزله تحمل شُنطه الخاصة لتقله إلى المطار حيث كان مقرراً سفره فى نفس اليوم إلى نيويورك ..

لماذا لم يعد إلى مصر ؟؟

وقبل أن نتحدث عن ملابسات الوفاة يهمنا أن نعرف لماذا بقي أشرف مروان فى لندن رغم تصريحه السابق للمقربين إليه بشعوره بوجود مخطط لاغتياله ؟؟ وهى نقطة غير مفهومة وغامضة .. وتحتاج إلي توضيح وإجابة .. فلماذا فضل البقاء هناك مع ادراكه أنه من السهل اغتياله فى أية لحظة ؟ .. لماذا لم يعد إلي مصر ؟.. هل لم يكن يشعر بالاطمئنان علي حياته داخل وطنه ؟ .. أم أن ظروفه الصحية التى كانت تستدعى فى أيامه الأخيرة تركيب دعامات وتغيير ثلاثة صمامات بالقلب مرةً واحدة .. هي التى حالت دون ذلك.. وكان أشرف يبرر أسباب عدم رغبته فى العودة لمصر بقوله:

(عندما تكون صاحب عزوة.. وسلطان فى مصر.. ثم تترك السلطة يتحول الجميع إلى أعداءٍ بالنسبة لك.. لذا لم أعد أستطيع أن أحيا حياة عادية فى مصر..)

لكن بعض المقربين منه يؤكدون أنه كان بالفعل ينوى العودة إلى مصر والإقامة النهائية بها .. خاصةً بعد أن وصلته دعوة رسمية من الرئيس مبارك لحضور حفل زفاف ابنه جمال .. مع الاستقبال الذى وجده فى انتظاره من زوجته وأولاده وأحفاده والذى جعله يشعر بالحنين للجو الأسرى الذى عاش معظم حياته يفتقده .. خاصةً عندما صدرت تعليمات عليا لإدارة مطار القاهرة الجوى بفتح قاعة كبار الزوار للرجل واستقباله بشكل خاص .. ويؤكد هؤلاء أنه بدأ بالفعل يستعد لذلك وأرسل بعض الحقائب إلى مصر بها بعض أوراقه وملفاته الخاصة..

موت غير واضح الأسباب .. !!

على كل حال وبعد تحقيق مبدئى لم يستغرق أكثر من ثلاثة أيام- وهى سرعة غير مسبوقة فى مثل هذه القضايا- اختار البوليس البريطانى " اسكوتلاند يارد" وصف « موت غير واضح الأسباب » ليجعله عنواناً لملف مصرع أشرف مروان .. وأعلنت

الشرطة البريطانية أنها تستبعد أية شبهة جنائية فى الحادث .. وأن الاحتمال الأقرب هوالانتحار .. وذلك قبل إحالة الملف إلى ما يعرف هناك باسم « القاضى الطبى »، وهو الشخص المعنى هناك بالفصل فى مثل هذه القضايا .. وبعد أن تم فحص الجثة بواسطة أحد الأطباء الشرعيين بمستشفى "ويست مينستر" جاء التقرير الطبى المبدئى ليشخص الوفاة بأنها حدثت بسبب كسور متعددة بالجثة نتيجة السقوط من مكان عالٍ أدى ايضاً إلى انفجار فورى فى الشريان الأورطى بالقلب ..

ليست مفاجأة .. !!

فهل كان مصرعه بهذه الطريقة الدرامية مفاجأة؟؟

الحقيقة ليست كذلك حتى بالنسبة إليه هو شخصياً .. حيث أكد لبعض المقربين منه أنه معرض للتصفية فى أية لحظة .. وأنه يعيش آخر أيامه .. ففى تصريحات خاصة لـ جريدة «الشرق الأوسط» ذكر مصطفى رجب نائب رئيس اتحاد المصريين المغتربين أن مروان أخبر بعض المقربين منه بأنه « متخوف من أن يحدث له شيء».. كما ذكر برجمان المؤرخ الإسرائيلى لصحيفة هاآرتس بعد مصرع مروان أنه قال له ذات مرة إنه يخشى على حياته من الاغتيال .. والمؤكد أن هناك شواهد قوية دفعته لهذا الشعور .. تمثل فى مجموعها سيناريوهات مختلفة لاحتمالات الوفاة .. نناقشها كلاً على حدة ..

الاحتمالات الثلاثة .. !!

الحادث ككل لن يخرج عن كونه واحداً من ثلاثة :.

١ -الانتحار : .. وهذا لا يحتاج إلى شرح ..

٢-القتل : ويحتمل أكثر من طريقة .. مثل الإجهاز عليه أولاً ثم إسقاطه فيمابعد .. أو دفعه بقوة للسقوط من الشرفة .. حتى يبدو الأمر فى كلتا الحالتين انتحاراً .. وهذا الاحتمال رجحته فيما بعد مجلة "تايم" الأمريكية وإن كان بشكل مختلف حيث أكدت أن هناك أشخاصاً مجهولين استدرجوا أشرف ثم قتلوه وألقوا بجثته أسفل البناية التى كان يقيم بها ..

٣-القضاء والقدر : وآخر الاحتمالات أنه ربما يكون قد فقد وعيه أثناء وقوفه بالشرفة واختل توازنه فسقط ..

الاحتمال الأخير نستبعده مؤقتاً لعدم منطقيته.. ونتوقف عند الاحتمالين: الأول .. والثانى .. ويهمنا أن نعرف أولاً بعض الروابط الأساسية التى تفرق بين توصيف أى حادث بالانتحار .. أو بالقتل .. وذلك قبل أن نناقش هذه الاحتمالات ونتوقف قليلاً عند بعض الملاحظات الهامة ..

الفارق بين الانتحار والقتل .. !!

للتفرقة بين الاحتمالين يتم مقارنة طول المتوفى مع ارتفاع الشرفة التى سقط منها.. فكلما كان جسد المتوفى أقل طولاً من ارتفاع الشرفة كان احتمال الانتحار مستبعداً .. والعكس صحيح .. وهو ما يتوفر فى حالة أشرف مروان .. فبرغم قامته الطويلة فإن الشرفة كانت عالية بقدرٍ كبير .. ويوجد عليها من الخارج أصيص زرع بعرض الشرفة يحول بينه وبين الوقوع بسهولة .. والشخص الواعى عندما يسقط من ارتفاع عالى فإنه يستخدم كلتا يديه أو إحدى قدميه ليستقبل بهما الأرض محاولاً أن يحمى رأسه بقدر الإمكان .. على عكس الشخص الفاقد لوعيه الذى غالباً ما يقع على وجهه .. وهنا يجب الإشارة إلى ما قالته منى زوجته فيما بعد بناءاً على ما عرفته من بعض شهود الحادث حيث صرحت بأن أشرف كان ممدداً على ظهره .. وجهه لأعلى .. مرتدياً بالطو أسود .. هكذا وجدت جثته ملقاةً على أرضية الشارع .. فهل لهذا من تفسير يساعد فى حل هذه القضية؟

الفارق بين السقوط والإسقاط .. !!

الطب الشرعى وضع قواعد للتفريق بين الاحتمالين .. فالسقوط بكل احتمالاته المشار إليها سابقاً يعنى فى لغة رجال البحث الجنائى مزيجاً من الالتباس بين احتمالات الانتحار .. أو القتل العمد .. حيث تؤدى كل تلك الاحتمالات لأن تمتزج آثار الهجوم على جسد الضحية فى حالة إرغامه على الإسقاط مع آثار المقاومة التى يبديها الضحية مهما بلغت درجة ضعفه الجسمانى .. وتأتى إصابات وآثار الارتطام الشديد بالأرض ليتداخل كل هذا بشكل ينتج عنه غموض الرؤية ويصعب الفصل فيه مع المعاينة الأولى للحادث ..

سوء الأحوال الجوية .. !!

ولكى تتضح جميع معالم الصورة بكافة ملابساتها المحيطة بالحادث يجب الإشارة إلى نقطة أخرى هامة جداً .. وهى أن درجة الحرارة يوم وفاة أشرف مروان كانت تتراوح بين (٩ و ١٠) درجات فقط .. وتخلل يوم الوفاة أسبوعاً عاصفاً وشديد المطر عاشت فيه العاصمة البريطانية موجة من سوء الأحوال الجوية راح ضحيتها ثلاثة ضحايا .. بحسب ما ذكرته وأشارت إليه الصحف ووكالات الأنباء وقتها ؟؟.. فهل يتفق هذا مع وقوف رجل كهل مصاب بالعديد من الأمراض فى شرفة منزله ليتحدث تليفونياً ؟.

أين شرائط المراقبة .. !!

ثم خطورة موقع منزله الذى يتوسط العديد من منازل الشخصيات الهامة والأسرة الحاكمة فى لندن، بما يعنى أنه مراقب أرضياً ومن خلال الأقمار الصناعية بكاميرات المراقبة التى تعمل (٢٤) ساعة فى حوارى وشوارع وميادين لندن الأقل أهمية من الحى

الذى كان يعيش فيه مروان فى العاصمة البريطانية .. فأين الشرائط التى سجلتها الكاميرات الأرضية والأقمار الصناعية للمكان فى هذا التوقيت ؟. وأين شرائط كاميرات المراقبة التى كان يضعها فى العديد من أركان شقته وتسجل أولاً بأول كل ما يدور هناك؟؟ أم أن أجهزة الأمن البريطانية تتحفظ عليها وتخفيها لأسباب تعلمها هى فقط ..

الباب الخلفى!!

اكتشف البوليس البريطانى عند معاينة العمارة التى كان يقيم بها.. وسقط أسفلها أن الباب الخلفى للبناية الذى يستخدم كباب للطوارئ فى حالة إندلاع حريق مكسور بفعل فاعل.. الباب الوحيد من بين الذى نادراً ما يستخدمه أحد و أحد خمسة أبواب أخرى.. لكنه يبقى دائماً مغلقاً توجد به إحدى كاميرات المراقبة تم تعطيلها يوم الوفاة..

احتمال الانتحار .. !!

ونعود للاحتمال الذى أشارت إليه تحقيقات الإسكوتلاند يارد فى البداية وهو الانتحار ..

الثابت أن أشرف مروان كان حتى النهاية يمارس عمله بانتظام بما يتفق وما عرف عنه من انضباط شديد .. حتى وسط كل تلك الضغوط النفسية الرهيبة التى واجهها طوال الأعوام الماضية .. وتحوله بشكل عام إلى « شبح » وصورة باهتة من شخصيته القديمة كرد فعل لأمرين :-

الأول : شدة تأثره الإنسانى بما ينشرعنه وتروج له إسرائيل من أخبار وتقارير صحفية .. ونظرات الشك التى كان يلمحها فى عيون كل من يقابله ..مما ألقى به فى دوامة من الإكتئاب الشديد وجعله عصبياً .. شديد الانفعال والتوتر .. وشارد الذهن بشكل مستمر .. مؤثراً للصمت الذى التزم به تماماً حتى النهاية ..

الثانى : تدهور حالته الصحية نتيجة لقائمة الأمراض والعلل التى أنهكته وتكالبت عليه من كل اتجاه ومن بينها السرطان الذى كان يعانى منه منذ وقت طويل.. وكان لايقوى على الوقوف والسير دون عكاز نظراً لإصابته بفيروس فى الركبة.

فهل كان كل ذلك هو الذى دفعه فى لحظة يأس لينهى حياته بيده ؟.

بين الرفض والتأييد .. !!

يقول أحد المقربين من أشرف مروان وأسرة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.. -وصفته مجلة « روزاليوسف » بأنه إحدى الشخصيات المرموقة وطلب عدم الإشارة لاسمه -.. إن الانتحار كان بمثابة تصرف متوقع من أشرف مروان .. فقد دخل فى دوامة من اليأس والإحباط .. ولم يشأ إشراك أحد فى معاناته، فابتعد عن الجميع بما فيهم المقربون منه منذ فترة .. وأصرَّعلي الانكفاء علي ذاته ..

وبرغم خطورة التصريح الذى ساقه الشخص السابق .. فإن الرجل لم يكشف عن أدلة قاطعة يؤكد بها كلامه فجميعها مجرد تخمينات .. ينفيها العديد من المقربين من أشرف مروان شخصياً الذين يعرفونه جيداً .. ومنهم "مصطفى رجب" نائب رئيس اتحاد المصريين المغتربين فى لندن الذى يستبعد هذا الاحتمال تماماً، لطبيعة معرفته الشخصية بأشرف من قرب وكيف أنه كان محباً حقيقياً للحياة .. مشيراً إلى أن هناك شكوكاً مؤكدة بين أفراد الجالية المصرية فى بريطانيا من أنه «تم اغتياله».. كذلك زوجته منى التى ترفض تماماً مجرد مناقشة هذا الاحتمال، وتقول: " أشرف لاينتحر أبداً .. فهو إنسان قوى وليس ضعيفاً .. كان ينوى أن يصحبنى معه فى رحلة الحج هذا العام" .. وتصفه بأنه كان إنساناً مؤمناً .. يصلى فروض ربه .. ويحج .. ويعرف دينه جيداً .. صابر صبرالجبال على ما لاقاه فى حياته من صعاب لا تعد ولا تحصى ..

حكاية أجهزة التنفس .. !!

والبعض قد يستخدم القصة التالية للاستدلال على نية أشرف مروان على الانتحار .. ففى نهاية اليوم السابق على مصرعه أنهى أشرف مروان بنفسه تغليف جهازين منزليين كان يستخدمهما للتنفس الصناعى، بعد أن تعرض منذ عدة سنوات للإصابة بجلطة فى المخ نتج عنها إصابته بمرض يعرف طبياً باسم "سليب إبنيا" يمنعه من القدرة على التنفس أثناء النوم .. الجهازان باهظا الثمن .. وكان يعنى الاستغناء عن أحدهما ولو لليلة واحدة أن يموت مروان .. وقرر التبرع بهما لبعض المرضى المصريين ممن أصيبوا بمثل مرضه وقد لا يستطيعون تدبير ثمن مثل هذا الجهاز .. فيصبحون على مشارف الموت نياماً .. وضع الجهاز الأول فى حقيبة سوداء وبجانبه قناع التنفس الخاص به .. وبنفس الطريقة أنهى وضع الجهاز الثانى فى حقيبة مماثلة .. فهل يعنى ذلك أنه كان ينوى الانتحار؟ ..

الذى يقطع الشك باليقين فى هذا الاحتمال هو أن مروان كان قد توافر لديه جهاز أحدث يقوم بنفس الغرض .. ومن ثم لم يعد بحاجة إلى الجهازين السابقين .. وتؤكد روايات أخرى أنه قد تبرع بأجهزة مماثلة من قبل .. حيث يقول الدكتور سميح عامر أستاذ القلب المعروف بكلية طب قصر العينى والمستشار الطبى المصرى فى لندن .. إن أشرف مروان اتصل به وأخبره بأنه سوف يرسل له الجهازين مع السائق ليعطيهم بمعرفته لأى مريض يحتاج إليهما فى مصر .. وهو ما حدث بالفعل بعدها بوقت قصير..

إغتيال بطريقه شيطانية!!

لكن فيما يتعلق بقصة هذين الجهازين تحديداً نتوقف عند ما صرّح به جمال مروان لجريدة صوت الأمة القاهرية فيما بعد.. حيث ذكر ما يبعث بحق على الحيرة وقال إن السبب الرئيسى لتغيير تلك الأجهزة إكتشاف والده أنها قد تم التلاعب فى برمجة الكمبيوتر الخاص بها عن عمد.. وبدلاً من أن تعمل على ضخ الإكسجين.. تقوم

بسحبه عكسياً.. وقد تنبه أشرف مروان لذلك عندما بدأ الجميع يلاحظون أنه وصل لدرجة هزال شديد استدعت دخوله إحدى المستشفيات الخاصة فى لندن لمدة ثلاث أيام أجرى خلالها كافة التحليلات الطبية المطلوبة دون التوصل للسبب.. مما اضطره إلى السفر إلى الولايات المتحدة حيث عرض نفسه على واحد من أشهر الأطباء هناك الذى اكتشف أن نسبة الإكسجين الموجودة بالجسم أقل من مستواها العادى لدى الإنسان الطبيعى.. وبفحص أحد الجهازين اكتشف المهندس المختص أنه تم التلاعب ببرمجته بحيث يعمل الجهاز عكسياً.. وبفحص الجهاز الثانى المماثل تبين وجود نفس العيب.. مما يؤكد استحالة أن يكون العطل الذى أصاب الجهازين فى وقت واحد من قبيل المصادفة وإنما عن عمد.. لكن المفاجأة التى أكدت أن وراء ذلك تدبير شيطانى من جهة ما.. أن الجهاز المماثل الذى يحتفظ به أشرف فى شقته بمصر لنفس الغرض وُجِدً به نفس العطل.. وكل هذا لا يحتمل إلا شىء واحد وهو أن من حاول قتله سعى لذلك بطريقة تكنولوجية حديثة جداً لا تخطر على بال الشيطان نفسه.

كيف انتحر؟ .. !!

يقول بعض الشهود إنهم رأوه فى لحظاته الأخيرة وهو يروح ويجئ فى الشرفة متحدثاً فى تليفونه المحمول ثم فجأة ألقى بنفسه من الشرفة !! .. وتحديداً قائل هذه الشهادة هو "عصام شوقى" زوج سكرتيرته الخاصة الذى كان لأشرف موقف ما منه سنتحدث عنه فى حينه ..

شهادة مرفوضة .. !!

لكن كيف نستطيع أن نقبل هذه الشهادة وأشرف مروان كانت حركته الجسدية أواخر أيامه محدودة جداً ؟.. فلم يكن يستطيع الحركة بسهولة وكان يعتمد على

عكازٍ لا يفارق يده ؟.. فكيف يتحرك بهذا الشكل ؟.. ومن أين له بالقوة المناسبة ليتخطى الحاجز الحديدى أعلى الشرفة ثم يقفز من أعلاها ؟! ..

الانتحار مرفوض .. !!

ثم لماذا اختار تلك الطريقة بالذات للانتحار .. ولماذا لم ينتحر مثلاً بإطلاق الرصاص على نفسه من مسدسه الخاص الذى لم يكن يفارقه .. أو بتناوله جرعة دواء زائدة من عشرات الأدوية التى يتناولها باستمرار ..

وبالذهاب إلى قواعد وأسس علم النفس الجنائى نجده يتحدث عن الانتحار قفزاً من مكانٍ عال، واصفاً إياه بأنه أداة انتحار لحظية يلجأ إليها الإنسان عند تعرضه لضغوطٍ من موقفٍ ما لا يستطيع مواجهته، فيقررالتخلص من حياته لحظياً كرد فعلٍ مباشر للموقف الذى لا يستطيع مواجهته .. فما هو الموقف الذى تعرض له مروان وجعله يبادر بإلقاء نفسه من الطابق الخامس بالكيفية المشار إليها ؟؟ وهو الذى كان يتحدث فى تليفونه المحمول بشكل طبيعى لحظة انتحاره مثلما يقول شهود الحادث ..

إذن هذا الاحتمال مستبعد تماماً نظراً لطبيعة أشرف مروان الخاصة والتى أكدها كل المقربين منه، ولو كان حدث فمن المؤكد أنه كان سوف يترك وراءه دليلاً ما على ذلك .. مثل رسالة لزوجته وأبنائه .. أو للرأى العام يوضح فيها ما عانى طويلاً من كتمانه.. ثم كيف ينتحر رجل وُجدً فى جيب سترته التى كان يرتديها عند وفاته بعض الأدعية والآيات القرآنية وسبحة لم تكن تفارق يدة؟؟!

هل قتلته عصابات المافيا؟؟ .. !!

السيناريو الثانى يخرج من عالم تجارة السلاح وقوانينه التى لا ترحم وهو العالم الذى تحكمه عصابات المافيا .. تبلغ خطورة تلك التجارة المحرمة أن هناك دولاً وجماعات متمردة تتعامل مع سماسرة غير معلنين .. وتتوق لاقتناء أسلحة جديدة ومتطورة.. وغالبية تلك الدول والجماعات إما ممنوع عليها اقتناء أنواع معينة من السلاح .. أو محظور عليها الحصول علي الأسلحة أصلاً .. وباختصار فإن ذلك العالم لايعترف بالخطأ فالغلطة الأولى فيه هى الغلطة الأخيرة .. وكان الرجل بحسب ما يشاع حوله على علاقة بالكثير من أساطين وجبابرة ذلك العالم .. ضليع فى خفاياه .. بحسب ما ذكره وأكده العديد من الصحف والكتب العالمية التى حررها كبار الصحفيين والكتاب العالميين .. مثل سيمون ريجان الذى أشرنا إليه وإلى كتابه من قبل وكان أحد أهم الصحفيين المقربين للأسرة المالكة البريطانية .. حيث يشير لأهمية خاصة لوضعية أشرف مروان وسط مافيا تجارة السلاح خاصة فى منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا .. فهل كان مصرعه نتيجة لخلافاته وخصوماته الشخصية مع البعض من هؤلاء ؟!. فالرجل كان همزة الوصل بين بعض الحكومات وتجار سلاح وأجهزة مخابرات مختلفة .. وكان بعضهم على الأقل يرى أن أشرف مروان -الذى كان يبدو وكأنه جهاز مخابرات يعمل فقط لحسابه الخاص و يريد أن يظل ممسكاً منفرداً بأطراف الحقيقة إلي النهاية- هو بلا شك خطر يتهددهم .. خاصةً مع ما يحتفظ به من تفاصيل خطيرة عن أعمال جرت فى منطقة الشرق الأوسط وأوربا وإفريقيا .. وبما يملكه من أسرار ضخمة منذ عهد الرئيس جمال عبد الناصر إلي الرئيس الحالي حسني مبارك .. مروراً بالرئيس السادات ..وهو يعرف متى يستخدم ما لديه من معلومات .. مما جعله بالنسبة لهم خطراً داهماً يجب القضاء عليه .. وهو احتمال يبقى قائماً .. وإن كان فى احتياج إلى شواهد وقرائن تؤكده أو تنفيه .. فعصابات المافيا وتجار السلاح لها سوابقها الشهيرة والمشابهة فى مثل هذه الاغتيالات ..

من يستطيع النفى أو التأكيد ؟ !!

لكن من يملك أن يؤكد أنه كانت هناك علاقة ما بين مروان وأساطين ذلك العالم الخفى تصل لحد قتله.. حتى وإن تعامل الجميع مع هذا الفرض باعتباره أمراً واقعاً لا يحتمل الشك.. ومن بين العديد من الشائعات التى ورد فيها ذكر اسم أشرف مروان .. وكانت تتعلق بصفقات السلاح .. خاصة صفقة دولية كبيرة أثارت موجات متعاقبة من الجدل وكان مردودها كبيراً على الصعيد الدولى .. ونجحت أطراف لها مصالح فى وقف التحقيقات الدائرة حول هذه الصفقة فى بريطانيا بتدخل مباشر من رئيس الوزراء الإنجليزي السابق "توني بلير" ..

رجل فوق العادة !!

ويقول "سيمون" فى كتابه إن ما انتهى إليه من تحقيقات كشف له أن "مروان" كان رجلاً فوق العادة .. وغامضاً .. وعليه الكثير من الملاحظات فيما يتعلق بأنشطته الاقتصادية .. خاصة الوساطة فى العديد من صفقات السلاح المشابهة .. والتحالف مع شخصيات بالغة الأهمية من دول وأقطار عربية وغيرعربية- والذين ما زال بعضهم فى السلطة فى بلاده- لتنفيذ أعمال شديدة السرية ومحكمة التنفيذ لتصفية بعض العرب والمصريين والأجانب ممّن كانوا يتصارعون معهم ما بين لندن وباريس وواشنطن للحصول علي صفقات سلاح وتوريدها إلي عدة بلدان وجماعات.. وأنه كان يقوم بذلك مع آخرين بأعصاب باردة هو وحلفاؤه باحتراف عال المستوي.. فلا يتركون وراءهم أية آثار من الممكن أن تقود إليهم .. فمن أين جاء ريجان بهذه المعلومات الخطيرة.. لم يقل مصدرها هو.. ولا أحد يعرف !!

"غموض مروان" .. !!

ويشير سيمون ريجان فى الفصل الذي أفرده فى كتابه تحت اسم "غموض مروان" .. إلي أن عدداً من أولئك التجار كانوا يلتفون حول الحظر الأمريكي علي

توريد السلاح المفروض علي بلدان وجماعات فى منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا .. وأنهم استخدموا اثنين من عملاء المخابرات الأمريكية للتغطية علي عمليات نقل السلاح بشكل غير قانوني بما يخدم الإرهـاب .. ما أدي إلي إدانـة القضاء الأمريكي للعميلين .. والحكم عليهما بالسجن .. فى قضية يقول الكاتب إن "مـروان" كان على صلة بها وإنه قد صدر بحقه أمر توقيف من قبل الولايات المتحدة الأمريكية .. ولا يمكن له أن يدخل تلك البلاد .. لا هو ولا صاحبه مبعوث الحاكم العربي المشار إليه ..

هل قتله الموساد؟؟ .. !!

السيناريو الثانى هو الأكثر قبولاً بين المتابعين لملف الرجل، نبدؤه بالإشارة لمصادفة غريبة يشير اليها عادل حمودة فى متابعته للقضية .. فقد ذكر حمودة أنه فى نفس الشهر الذي لقى فيه أشرف مروان مصرعه وقبل أن يلقى حتفه بأيام قلائل نشرت مجلة "أنتيلجنس"-ا لتى تعنى بالعربية "المخابرات"، وهى مجلة ربع سنوية لها موقع خاص على الإنترنت والمتخصصة فى متابعة الملفات المخابراتية- مقالاً لكاتب إسرائيلى يوصف بأنه أهم زعيم يهودي فى العالم يدعى "مالكوم هونلين"يشغل منصب نائب رئيس اتحاد المنظمات اليهودية فى الولايات المتحدة الذي يضم ٥٢ منظمة يهودية نشطة .. ويحمل شهادة عليا متخصصة فى الأمن القومي من معهد الشرق الأوسط التابع لنفس الجامعة .. وكرمته إسرائيل كثيراً لجهوده غير العادية فى مساندتها وتبنى قضاياها .. وهو يتمتع بعلاقات قوية مع العديد من أجهزة المخابرات فى العالم .. فى مقدمتها بالطبع الموساد و(C.I.A) والمخابرات البريطانية مما منحه فرصة هائلة لكشف ما يصعب علي غيره التوصل إليه من أسرار يستحيل الاقتراب منها .. المقال يحمل عنوان "لغز مروان" تعرض فيه "هونلين" لشخص أشرف مروان .. وعرض فيه القصة كاملةً بما يتفق ووجهة

النظر الإسرائيلية بالطبع .. فهل كان ذلك التوقيت مجرد صدفة ؟ .. أم كان تمهيداً للتخلص من أشرف مروان ؟ .. سؤال هام قد يؤكد الاتهام الذى يروج له الجميع..

لماذا الآن ؟؟ .. !!

ولكن هناك سؤال مهم .. لماذا تغتاله إسرائيل الآن؟ .. ولم تسع لذلك عقب انتهاء حرب أكتوبر .. وهذا الطرح قد يؤكد اتهام الموساد، ومن الممكن أن ينفيه بدعوى أنهم لو كانوا يريدون اغتياله وتصفيته لسعوا إلى ذلك منذ زمن طويل وبمجرد تأكدهم من حقيقة الدور الذى لعبه ضدهم .. ويمكن الرد علىهذا بأنهم لم تواتهم الفرصة فى حينها لفعل ذلك .. أو أنهم أرادوا حرقه وتصفيته معنوياً أولاً ثم تصفيته نهائياً فيما بعد، وإلقاء شبهة القتل على المخابرات المصرية التى تخيلوا أنها ستلهث وراء الرجل فور ترويجهم لقصتهم المزعومة لتصفيته عقاباً له على خيانته لوطنه، وحتى تدفن معه حقائق وأسرار لا تريد الكشف عنها ..

الاحتمال المرفوض !!

وهو الاحتمال الذى أشارت إليه بعض الصحف الإسرائيلية عقب مصرع أشرف.. والذى يشير بأصابع الاتهام للمخابرات المصرية بحجة أنهم اكتشفوا عمالته للموساد فقرروا عقابه بقتله بهذه الصورة .. ونرد على هذا الاحتمال بأن سياسة المخابرات المصرية لم تعرف طيلة تاريخها مبدأ تصفية الخونة بغرض أنه كان كذلك.. وإنما تترك الأمر للقضاء المصرى بعد إلقاء القبض على من يثبت عليه التجسس لصالح أية جهة أجنبية والأمثلة على ذلك كثيرة .. كما تأتى شهادة اللواء صلاح الدين المحرزي وكيل جهاز المخابرات العامة الأسبق فى تصريحات خاصة لـ جريدة «المصري اليوم» ،عقب دفن أشرف مروان لتنفى ذلك الاحتمال من

جانب المخابرات المصرية.. حيث ذكر المحرزي أن أشرف مروان كان ضابطاً فى المخابرات المصرية .. وليس مجرد عميل لها .. أو ضدها .. كما يردد البعض .. وأنه الذى عرض علي السادات فكرة تطوير التعامل مع المعلومات .. وأسس سكرتارية للعلاقات الخاصة سماها «سكرتارية الاتصالات الخارجية» ونجح فى ذلك ببراعة.. مما جعل السادات يصدر قراراً يعطي أشرف مروان الحق فى الاتصال بكل رؤساء وأجهزة المخابرات فى العالم، وتلقف مروان هذا القرار وفتح مكاتب للعلاقات العامة فى كل الدول ..

سر الخادمة .. !!

وتردد احتمال آخر بخصوص الموساد يدور حول علاقة غامضة لخادمته بلغارية الأصل التى عاشت تخدمه أكثر من عشرين عاماً، وأنه وصلته معلومات من مصدرٍ ما أنها تستقبل فى بيته أثناء غيابه شخصاً تجمعها به علاقة خاصة .. وذكرت بعض المصادر أن هذا الشخص ربما يكون له علاقة ما بجهاز المخابرات الإسرائيلية .. وأنه ربما استغل علاقته بالخادمة فى الدخول إلى المنزل هو وآخرون وقاموا بإلقاء أشرف مروان من شرفة المنزل .. وردد البعض أنه ربما تم تجنيد هذه الخادمة لتدس لأشرف نوعاً ما من السم البطئ الذى يطلق عليه "السم البيضاوى"، الذى أعلن الموساد من قبل من خلال القناة الثانية بالتلفزيون الإسرائيلى عن توصله لتركيبة خاصة به تجعل من يتناول هذا السم يصاب بدوار عند نظره من الأماكن العالية ويغشى عليه فيسقط .. وأن هذه التركيبة الخاصة لا تترك أثراً فى جسد القتيل ولا فى التحاليل الطبية المعتادة والتى يقوم بها الشخص العادى من وقتٍ لآخر .. ويتم دسها فى المشروب الذى يتناوله الضحية كل عشرين يوما .. ومما يعززٍ احتمال تورط الخادمة فى مصرع أشرف أنه كان قد بدأ يتشكك فيها وأمر بانهاء عملها معه، وإرسالها للعمل بقصره فى أسبانيا، وأرسل بالفعل حاجياتها الخاصة إلى هناك تمهيدها لتسفيرها بعد أن رفضت زوجته منى عبد الناصر شكوكه فيها وأصرت على بقائها فى خدمتها..

أو ربما يكون قد تناول السم فى لوبى نادى السيارات الذى إعتاد الذهاب إليه يومياً سيراً على الأقدام ليتناول هناك مشروبه المفضل "الإكسبريسو" ..

شكوك أخرى .. !!

كما أن شكوك أشرف مروان فيمن حوله كانت قد زادت فى الشهور الأخيرة من حياته بشكل غريب ،فقد أنهى خدمة سكرتيرته الخاصة "عزة فوزى عبد الحافظ " ابنة السكرتير الخاص للرئيس السادات ،والتى عملت فى خدمته لأكثر من عشرين عاماً منذ أن ترك العمل بالهيئة العربية للتصنيع، وكان يثق فيها -هى وزوجها "عصام شوقى" أول شهود الحادث الذى أشرنا له من قبل .. و كان يعمل أيضاً معه ويشاركه بنسبة بسيطة فى أحد مصانع البوية التى يملكها فى إيطاليا- ثقةً مطلقة .. لكنه فجأة استغنى عن خدماتهما معه ومنحهما مكافأةً مجزية .. ربما حرصاً على أن يكتم الاثنان ما بحوزتهما من أسرار خاصة به .. وكان قد سبق قراره بالاستغناء عن عزة وزوجها قرار آخر بالاستغناء عن صديق كان .. ومحل ثقته المطلقة على مدار عمره وهو شخص يدعى "حسام رشدى"،كان جاره فى منزل والده الواقع بشارع الحكماء بمنطقة مصر الجديدة .. وكان يعمل ضابط شرطة عندما استغل أشرف علاقته بالسادات وتم نقله إلى شرطة رئاسة الجمهورية .. وعندما انتقل أشرف للعمل بالهيئة العربية للتصنيع اصطحبه معه مديراً لمكتبه.. ثم قدم استقالته بعد أن تركها أشرف وتفرغ للعمل معه .. وفى الشهور الأخيرة بدأ يشك فى أن رشدى يسرب أخباره إلى بعض أعدائه فى مصر فأنهى خدماته .. ثم ما لبث أن شك فى وجود اتصالات بين عزة وحسام فأنهى خدمتها هى الأخرى .. وتبعها زوجها .. وعزز شك مروان فى حسام أن الأخير بمجرد تركه للعمل معه، أسند إليه على الفور منصب مرموق بوزارة السياحة المصرية .. بالرغم من أن عمره كان قد تجاوز الستين ..

تعطل كاميرات المراقبة .. !!

كاميرات المراقبة سواء بالعمارة التى وقع بها الحادث .. أو بنادى السيارات القريب من المكان .. تم تعطيلها جميعها فى توقيت وقوع الحادث .. فعند تفريغ شرائط المراقبة عقب وقوع الحادث كانت الصورة سوداء تماماً فى نفس التوقيت .. فماذا يعنى هذا ؟. لا يعنى سوى احتمال واحد وهو أن الحادث كان مدبراً.. ولم يكن بمحض الصدفة سواء كان انتحاراً .. أم قضاء وقدر ..

شاهد عيان ..!!

ذكرت صحيفة التايمز البيرطانية بإسناد إلى أحد مصادرها السرية الخاصة فى "الاسكوتلانديارد" البريطانية .. أن أحد شهود العيان-وهو يسكن فى شقة مقابلة لشقة "مروان"- شاهد شخصين يرتديان ملابس رسمية يقفان بجوار أشرف فى الشرفة، وأنهما قاما بدفعه ليسقط فى حديقة المنزل .. ذكر الشاهد أن ملامح الشخصين تشبه ملامح مواطنى البحر المتوسط .. وأنهما وقفا ينظران للرجل أثناء سقوطه من الشرفة بكل هدوء قبل أن ينصرفا من مكانهما ..

إختفاء الحذاء ..!!

ذكرتها الصحيفة أيضاً فى تقريرها أخطرها أن الجثة حين العثور عليها كانت ملقاه فى مكان يبعد مسافة لا تقل عن عشرة أمتار عن المكان الذى من المفروض سقوطها فيه أسفل الشرفة فى حالة الإنتحار ثم اختفاء الحذاء الطبى الذى كان يلبسه أشرف لحظة العثور على جثته .. وهذه الجزئية تحديداً تطرح أخطر معطيات الملف .. لماذا ؟ .. لأنه لو سلمنا باحتمال إنتحاره ففى هذه الحالة سوف يكون قد اضطر لتسلق الشرفة .. والمرور بحذائه على أصيص الزرع الذى يتوازى مع الشرفة

بالعرض .. ثم يقف على جهاز التكييف ليتمكن فى النهاية من استقبال الشارع ثم القفز لأسفل .. وهذا يعنى أنه لابد أن يعلق بالحذاء بعض من الطين الموجود بأصيص الزرع .. وينطبع حذاؤه على جهاز التكييف ،وهو ما يؤكده أو ينفيه معاينة حذائه الذى هو أهم أدلة القضية .. لكنه اختفى من قدميه بعد أن تم رفع الجثة من موقع الحادث لنقلها إلى مشرحة مستشفى "ويست منيستر" .. وأغلب الظن أنه قد تم نزعه من قدمى الجثة داخل المشرحة.. كما أن "جمال مروان" يقول أنه عند معاينته لجثة والده فى المشرحة كانت تبدو فى حالة غير طبيعية على الإطلاق حيث كان هناك دماءً كثرةً على رأسه.. وظهره.. وجرح ظاهر ومفتوح فى جبهته من الناحية اليمنى.

والمفاجأة الأكبر.. !!

وهى بحق قمة المفاجآت فى هذا الملف .. ولعلها تحمل كلمة الفصل فى تقييم كل الاحتمالات السابقة .. ذكرها عادل حمودة فى مقاله بجريدة الفجر (عدد ١٠ سبتمبر ٢٠٠٧) .. وهى اكتشاف أشرف مروان لمحاولة اغتياله قبل أن يلقى مصرعه بالفعل بشهرٍ واحد .. وذلك عن طريق بخاخة أكسجين كان يستخدمها للتنفس ليلاً.. واكتشف أشرف أنها كانت مليئة بغاز سام[1] ..

١- على الرغم من خطورة تلك المعلومة ومدلولها فى سير القضية إلا أن مصدرها الوحيد كان مقال عادل حمودة المشار إليه..

بين عصام شوقى .. والشاهد المجرى تاهت الحقيقة !!

نصوص القانون تقول: إذا تضاربت أقوال الشهود.. يفسر ذلك لصالح المتهم" وفى قضية مثل قضية أشرف مروان... لا يوجد فيها متهم مباشر وواضح يقف أمام الجميع من خلف قفص الاتهام... يبقى تضارب أقوال الشهود.يفسر لصالح الحقيقة التى تقبع مكبلة ناكسة الرأس خلف قضبان قفص الاتهام.

المقصود أن الحقيقة فى هذا الملف أصبحت هى المتهم الأول.. لماذا ؟

لأنها مثل الزئبق.. لا يستطيع أحد أن يمسك بها.. ضعيفة.. لا تستطيع أن تواجه هيئة المحكمة التى يرأسها العقل.. وعضو اليمين فيها هو المنطق.. وعضو اليسار هو، نور الشمس الذى يبد كل ظلام.

الحقيقة جبانة ..لا تستطيع مواجهة هيئة محكمة مثل تلك.. خرساء... لا تستطيع أن تصرخ لتشير إلى من قتلوا الرجل.. ويريدون أن يخدعونا بسيناريو اسمه (الانتحار).

لكن أسرة أشرف مروان قررت الخروج من بين صفوف المتفرجين فى قاعة المحكمة.. لتبحث بنفسها عن مفتاح يفتحون به قفص الاتهام... ويخرجون منه الحقيقة.. ويقذفو بداخله المتهم الفعلى فى هذه الجريمة بعد أن تيقنوا أن البوليس الإنجليزى يتعامل بطريقة روتينية يشوبها الكثير من الإهمال مع ملف القضية وكأنهم يريدون أن يدفعوا بها فى هذا الطريق الساذج حيث (الانتحار)... هو الاختيار الأسهل والأمثل لمثل هذه القضايا.

فاستأجرت الأسرة ٤ مكاتب دولية متخصصة فى هذه النوعية من التحقيقات وتوصلت هذه المكاتب لكشف ملابسات جديدة متعلقة بالحادث سلمت نسخة منها للبولس الإنجليزى... ونسخة مماثلة للسلطات المصرية المختصة... هذه الملابسات يمكن حصرها فى العناصر الآتية:

١ - مكالمة تليفونية خاصة من المكتب الذى استأجره شاهد القضية الأول (عصام شوقى).. أجراها الشاهد بنفسه: لجهة إسرائيلية داخل تل أبيب.. قبل ٢٤ ساعة فقط من مصرع أشرف مروان.

٢ - بالبحث والتحرى نتأكد من عدم وجود آية علاقة سبقة بين عصام شوقى الذى كان يعمل مديراً لمصنع "بوبى كوم" للكيمياويات الذى كان يملكه أشرف مروان... وأية جهة إسرائيلية من قبل...

٣ - أصدر أشرف مروان قراراً باستبعاد عصام من منصبه الإدارى فى مصنع الكيمياويات بعد اكتشافه عدة مخالفات مالية داخل المصنع وصلت إلى حد الاختلاس... فيقرر عدم التوقيع على ميزانية المصنع لعام ٢٠٠٦ وفصل عصام شوقى من المصنع هو وزوجته عزة فوزى عبد الحافظ التى كانت الذراع الأيمن لأشرف على مدار ثلاثين عاماً وكانت توصف بأنها بئر أسرار أشرف مروان.

٤ - اتصل عصام بأشرف وعرض عليه مناقشة عرض تقدّم به ثلاثة مستثمرين لشراء مصنع الكيمياويات.. وأخبره أنه قد استأجر مكتباً للاجتماعات فى المبنى المقابل بسكنه ليسهل مقابلة أشرف... بهؤلاء المستثمرين فى حضوره لبحث ترتيبات الصفقة... وتم الاتفاق وتحديد موعد الاجتماع فى الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم الذى حدثت فيه الوفاة... وكشفت تلك التحقيقات الخاصة أن عصام كان قد استأجر المكتب رقم (٣١٣) والذى أجرى منه المكالمة المجهولة لعقد الاجتماع فيه.. إلا أنه عاد وطلب استئمار المكتب رقم (٣٠٣) المواجه تماماً لشقة أشرف مروان... فى حين كان المكتب الأول يقع خلف البناية... بما يمكنه فيما بعد من مشاهدة أشرف مروان أثناء سقوطه من شرفة منزله.. وليتحول بذلك إلى شاهد الإثبات الوحيد لأحرج لحظات بالنسبة لأشرف مروان... وهى لحظات وكيفية سقوطه... وما قبل سقوطه مباشرةً من شرفة شقته...

٥ - أغرب ما تناولته أوراق تلك التحقيقات هو تبرير عصام شوقى لتغييره مكان الاجتماع من المكتب رقم (٣١٣) إلى المكتب رقم (٣٠٣) حيث علّل ذلك بأن المكتب الأول كانت مساحته صغيرة لا تصلح لعقد الاجتماع.... وبانتقال المحققين لمعاينة المكتبين على الطبيعة تبين العكس تماماً... حيث ثبت أن المكان الأول أكثر اتساعاً بشكل كبير عن المكتب الثانى.

الهدف هو الحقيقة

ولأن هدفنا من سرد الملاحظات السابقة هو الوصول للحقيقة... والوقوف عليها... وليس القاء التهم جزافاً على الآخرين... سنتجاوز ما تشير وتُلح إليه تلك الملاحظات حول موقف عصام شوقى شاهد القضية الأول وما يحيط بشهادته من ظلال الشك... لنقول إن عصام شوقى وإن كان فى رأى البوليس البريطانى هو أهم شهود الحادث... إلا أن هناك شاهداً أهم... لا تربطه علاقة مباشرة بأشرف مروان... وليس له صالح فى أن تسير القضية وفق سيناريو ما يخدم مصالحه... فمن هو هذا الشاهد الذى أشرنا إليه من قبل بدون ذكر لاسمه.. وذكرنا أن البولس البريطانى يتكتم شخصيته.. بعد أن أولى بشهادة خطيرة مفادها رؤيته لشخصين فى شرفة أشرف يشتبه فى أن لهما دوراً ما فى عملية إسقاطه... وقبل أن نتحدث عن هذا الشاهد.. الذى كشف عن اسمه مؤخراً فقط من خلال التحريات التى قامت بها مكاتب التحقيق الخاصة التى كلفتها أسرة أشرف مروان متابعة التحقيق نقول إن كل هذه المستجدات فى الملف الغامض كانت من الممكن أن تبقى للأبد طىّ الكتمان... لا يعلم عنها أحد شيئاً... حتى ظهر على سطح الأحداث ذلك الذى شاهد كلّ شيىء عن قرب... بل وكان واحداً من تلك المجموعة التى كانت تجلس فى انتظار مقدم أشرف مروان... والاجتماع به.

هذا الشاهد يدعى "جوزيف ريباس" وهو مجرى الجنسية ومن ألغاز القضية التى تثير العديد من علامات الاستفهام هو حرص الشرطة البريطانية (الإسكوتلنديارد)

على عدم الإفصاح عن شخصه... والتكتم التام على اسمه رغم تطوعه منذ اللحظة الأولى للإدلاء بأقواله فى القضية... وإملاء اسمه... وعمله.. وكافة بياناته الشخصية على رجال الأمن الذين تواجدوا بموقع الحادث بعد وقوعه مباشرةً.... وحتى قبل رفع الجثة من مكانها.... والأغرب أنهم لم يستدعوا الشاهد للإدلاء بأقواله إلا بعد خمسة أسابيع كاملة من وقوع الحادث.... ثم رفضوا إعطاءه صورة ضوئية من محضر أقواله فى التحقيقات... وهو حق قانونى لكل شاهد.. أو حتى متهم... يعطيه القانون الإنجليزى للجميع بلا استثناء... سواءً أكانوا مواطنين إنجليز... أم رعايا أجانب...

ولولا لجوء أسرة أشرف مروان لمكاتب التحقيق الخاصة لما تم الكشف عن شخصيته... ولسارت القضية حسبما تريد لها جهات التحقيق البريطانية وهى انتحار أشرف... وهو ما يحمل فى طياته دلالات لا يمكن تجاهلها.كما لا يمكن فى نفس الوقت تفسيرها إلا على محمل سوء القصد المتعمد لإخفاء الحقيقة... لصالح من ؟ ومن وراء ذلك... هم وحدهم - أى الجانب البريطانى - من يعلمون.

أما نحن.. فلا نعلم إلا شيئا واحدا.... يمليه علينا التدبر العقلانى والمنطقى لأوراق هذا الملف الشائك... وهو أن أشرف مروان لم ينتحر بل قُتِلَ... ولسنا نحن فقط من يذهب إلى هذا الاستنتاج الذى بات قناعة شديدة لكل المتابعين للملف... وأولهم هذا الرجل المجرى الجنسية... الذى قال فى أوراق التحقيقات ما يلى[1]:

كنا خمسة أفراد... نجلس فى انتظار وصول د. مروان للاجتماع معه... وحضرت لمقر الاجتماع قبل موعده بنحو الساعتين... فى تمام الساعة الواحدة والربع اتصل أحد الموجودين بالدكتور أشرف لاستعجاله... وكان هذا الشخص هو (عصام شوقى).. وبعد أن أنهى المكالمة مع دكتور مروان أخبرنا بأن الدكتور سيصل بعد

(١) وفقاً لشهادته الخاصة التى نشرتها جريدة صوت الأمة - القاهرية - من خلال الحوار الصحفى الذى أجراه معه الزميل أسامة خالد والدكتورة غادة شريف فى الفندق الذى نزل فيه بالقاهرة.... العدد ٣٦٤ - بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٣.

نصف ساعة... وكان بالحجرة شباك كبير... يقف أمامه عصام شوقى ينظر من خلاله للشارع... وفجأة صرخ قائلاً. انظروا ماذا يفعل دكتور أشرف مروان... أسرعت نحو النافذة... وأسرع ورائى باقى الحضور فوجدت د. مروان يتهاوى طائراً فى الهواء... ليسقط من خلالها... فوجدت شخصين ينظران من إحدى النوافذ... واستمرا فى النظر إليه حتى استقر على الأرض بينما بقيا هما ثابتين مكانهما للحظات ثم اختفيا تماماً... الرجلان كانت ملامحهما مثل شرق أوسطية... أو من أبناء البحر الأبيض المتوسط... ولم أستطع أن أهبط من الغرفة لمتابعة ما يجرى بالأسفل... حيث كنت مصدوماً وفى حالة شديدة من الدهشة... بينما إثنان إلى الأسفل عصام شوقى... ومرّت قرابة الـ ٤٠ دقيقة قبل أن أتمالك أعصابى.. وأغادر المكان... وتركت بياناتى الشخصية كلها لدى رجال الأمن المتواجدين بالمكان... وبعدها بخمسة أسابيع كاملة اتصل بى البوليس البريطانى لأدلى بشهادتى...

وعن شكل وطبيعة العلاقة التى ربطت الشاهد المجرى بأشرف مروان يقول:

كانت علاقة عمل عادية... وفأنا أعمل كباحث كيميائى... وأعيش فى المجر بشكل مستمر... وإن كان ذلك لا يمنعنى من التردد باستمرار على لندن... خاصةً بعد تعيينى فى منصب مدير إدارة البحوث بشركة "يوبى كيم" العاملة فى مجال الأبحاث الدوائية والتى كان د. مروان يمتلك ٧٨٪ من أسهمها... وخلال فترة عملى بالشركة لم أرد أعرف مروان... أو يجمعنى به أى لقاء سوى لقاءات عمل محدودة... لكن فى فبراير ٢٠٠٧ جاء د. مروان إلى مقر الشركة فى المجر... وكنت مكلفاً بمرافقته طوال فترة إقامته هناك.. وفى هذ الفترة عرفته عن قربٍ شديد... وأكثر ما لفتَ نظرى فى شخصيته هو تواضعه الشديد... وكان بشكلٍ عام ودوداً... ولطيفاً فى معاملة الجميع... واهتم بسؤالى عن أسرتى... وعند مغادرته للمجر... طلب منى أن أكون على اتصال دائم به... وكثيراً ما فوجئت به يتصل بى على فترات لسؤاله عن أحوالى... وأحوال أسرتى... ولا أعتقد إطلاقاً بأنه انتحر... فقد كان محباً حقيقة للحياة... يحمل الكثير من الأفكار... والخطط للمستقبل.. وكان متفائلاً دائماً بشكل يتنافى تماماً مع أية بوادر تدفع شخصاً مثله لينهى حياته بيده.

إلى هنا انتهت شهادة الرجل... الذى نتوقع أنه سيصبح هو كلمة السر فى هذه القضية والمفتاح الذى سيفتح باب قفص الاتهام لتخرج منه الحقيقة التى نعرفها جميعاً... قوية... واضحة وضوح الشمس... ويجلس بدلاً منها رجال أقذر جهاز مخابرات عرفه التاريخ (الموساد).

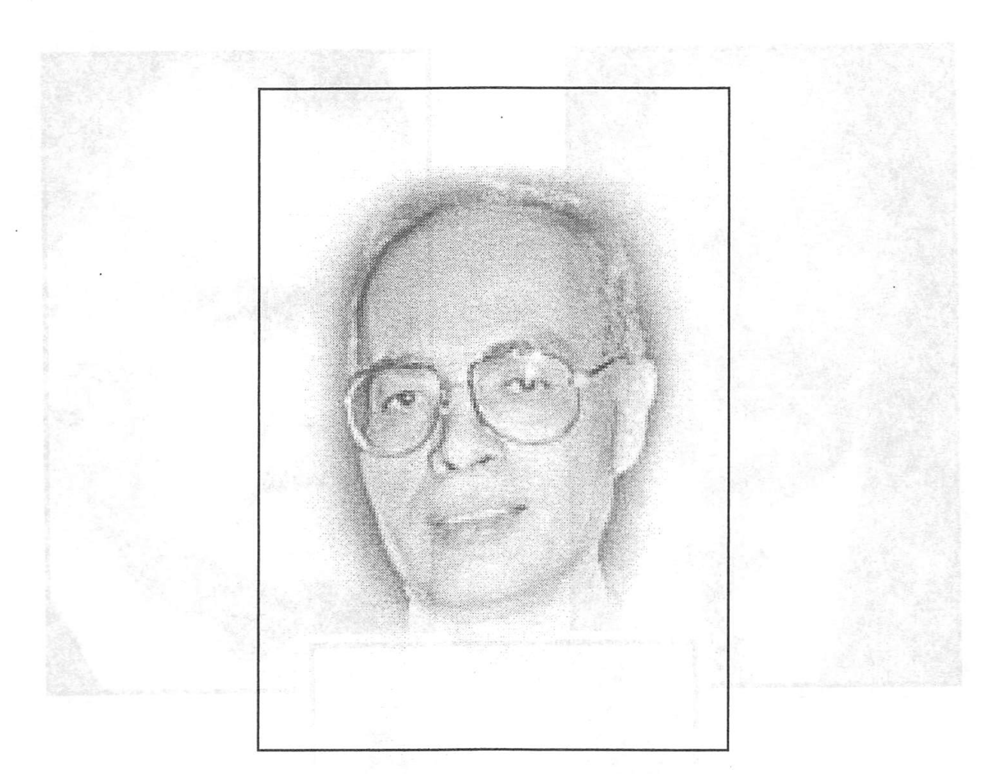
والخلاصة.. !!

بعد الأدلة السابقة لا مجال على الإطلاق لمناقشة احتمالى الانتحار .. أو القضاء والقدر .. فالرجل قُتل .. بتدبير وتخطيط كانا على أعلى مستوى على يد رجلين أغلب الظن أنهما يتبعان الموساد .. جهاز المخابرات التابع لدولة تقع على حوض البحر المتوسط .. ومعظم رجاله يحملون ملامح مواطنى البحر المتوسط.. وصاحب المصلحة الأولى فى تصفية رجل كانت مذكراته التى تكشف عجزهم .. وفشلهم.. على وشك الخروج للنور .. فكان لابد أن يموت الرجل .. ويذهب بغير رجعة بما يحمله من أسرار .. وبما يُذّكرهم به - مادام على قيد الحياة - من عجزهم.. وفشلهم.. وقدرته على خداعهم .. وفى حالة التثبت من أن الموساد وراء مصرع أشرف مروان تبقى كل تلك الاحتمالات لتلقى للأسف الشديد بالمسئولية علي عاتق الأجهزة المصرية وتظهرها بمظهر العاجزعن حماية واحد من أهم رجالها ..

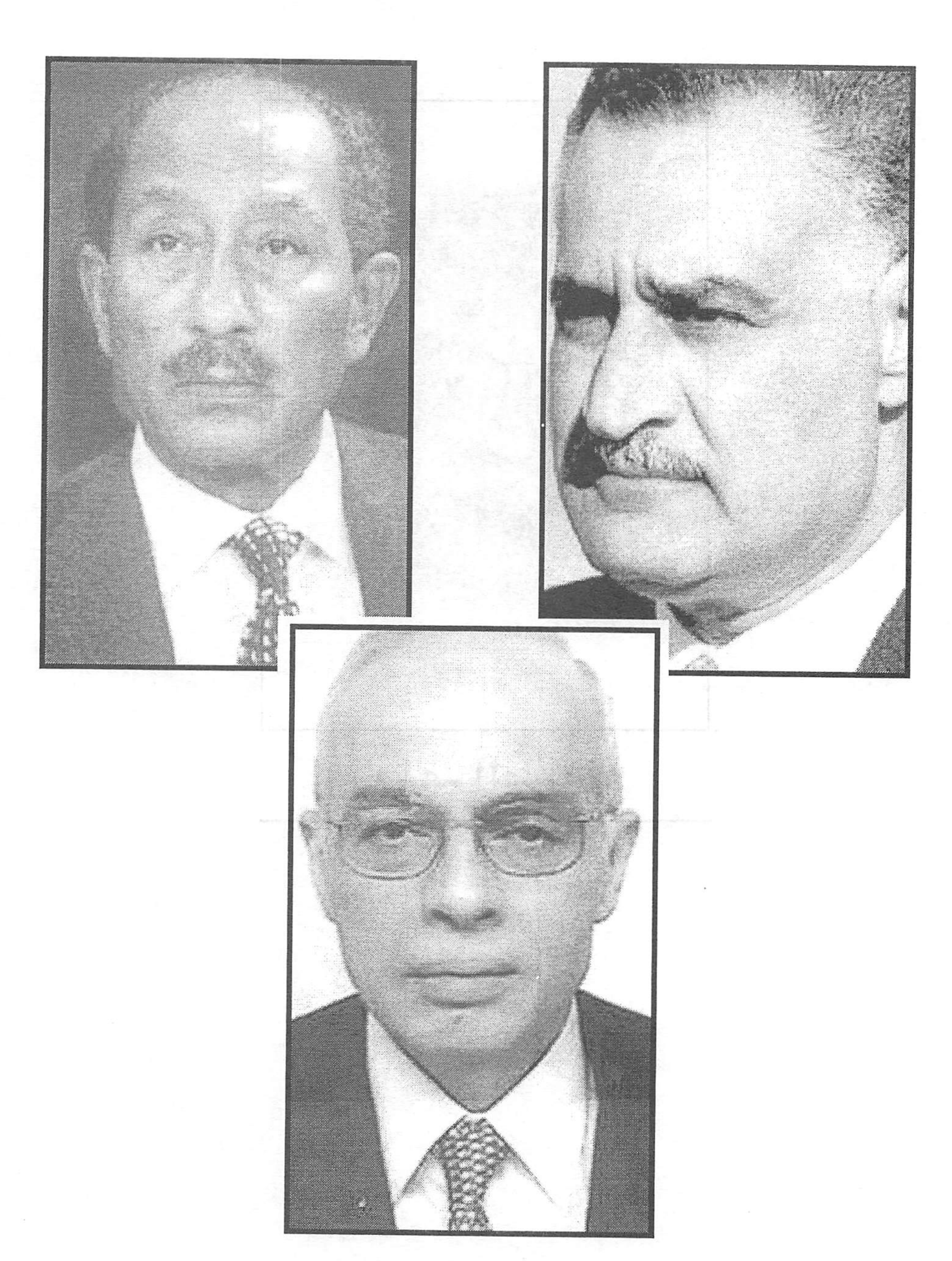
خاتمة.. !!

وبالرغم من كل ذلك نقول أن الملف مازال يحوى الكثير من الأسرار.. وحتماً عندما يأتى اليوم الذى يخرج فيه الجانب المصرى ملف الرجل للنور، سوف ينمحى بلا شك الكثير من الغموض الذى كما قلنا فى البداية أحاط بـ "أشرف مروان".. الرجل الأكثر غموضاً - لكن .. لأن الرجل لم يكن شخصاً عادياً .. وعاش حياةً غير عادية .. كان لابد أن تكون نهايته متسقة مع أسلوب حياته وطبيعتها .. فمنذ أن ظهر أشرف مروان علي مسرح الحياة العامة سار على حافة الهاوية .. باذلاً جهداً خرافياً .. للاحتفاظ بتوازنه بقدرالإمكان ..

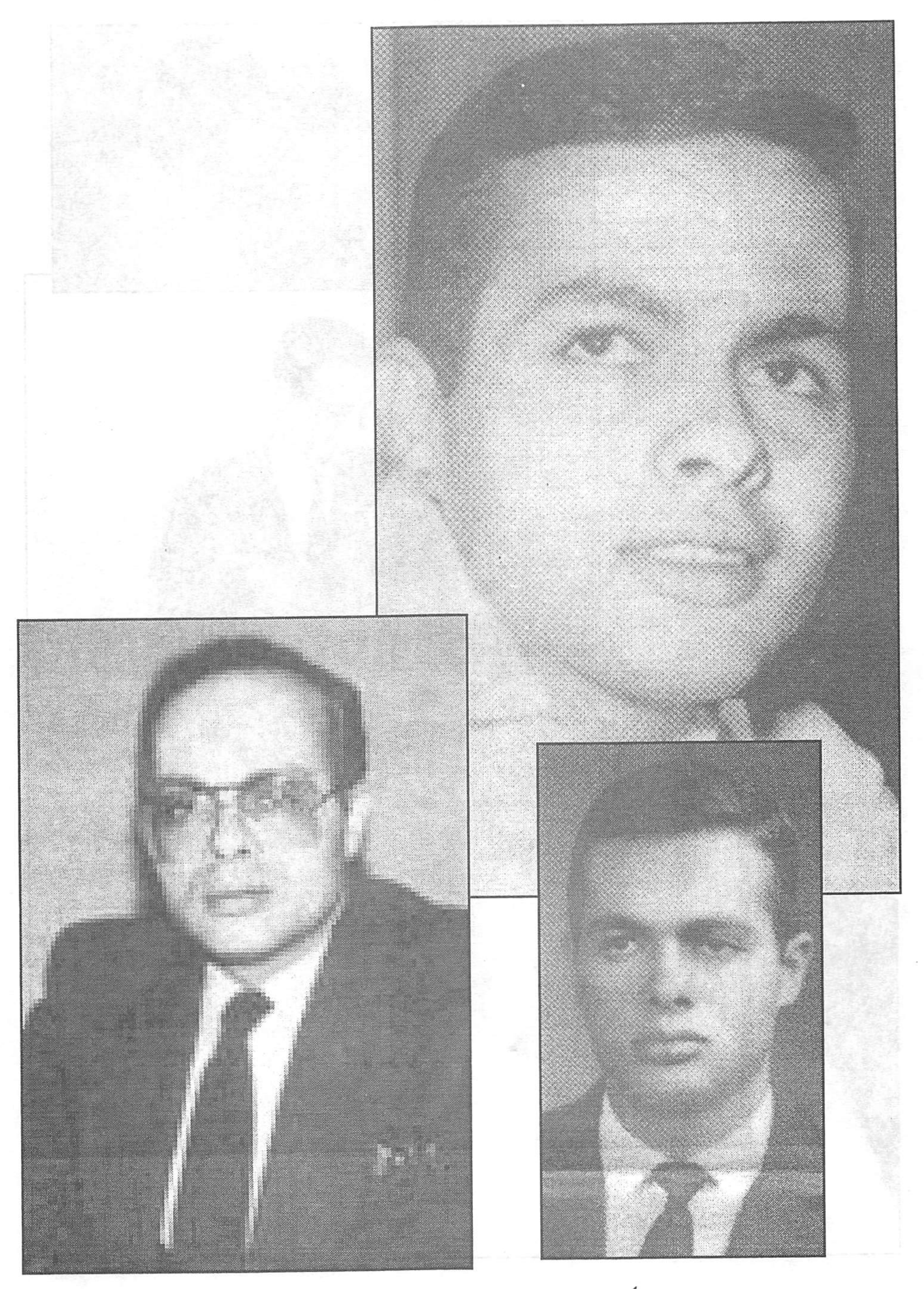
وفيا ترى أى مصير ستختاره السلطات البريطانية لإغلاق ملف أشرف مروان؟. هل بالانتحار مثلما حدث فى واقعة الليثى وسعاد حسنى ؟. أم ضد مجهول مثلما حدث فى واقعة على شفيق ؟. هذا ما لا يعلمه أحد حتى الآن .. ولكن نتمنى ألا يكون مثل مصير سابقيه .. فالرجل يستحق نهاية أخرى مختلفة .. مثلما كان هو نفسه طيلة حياته شخصاً آخر مختلفا.



ملف الصور

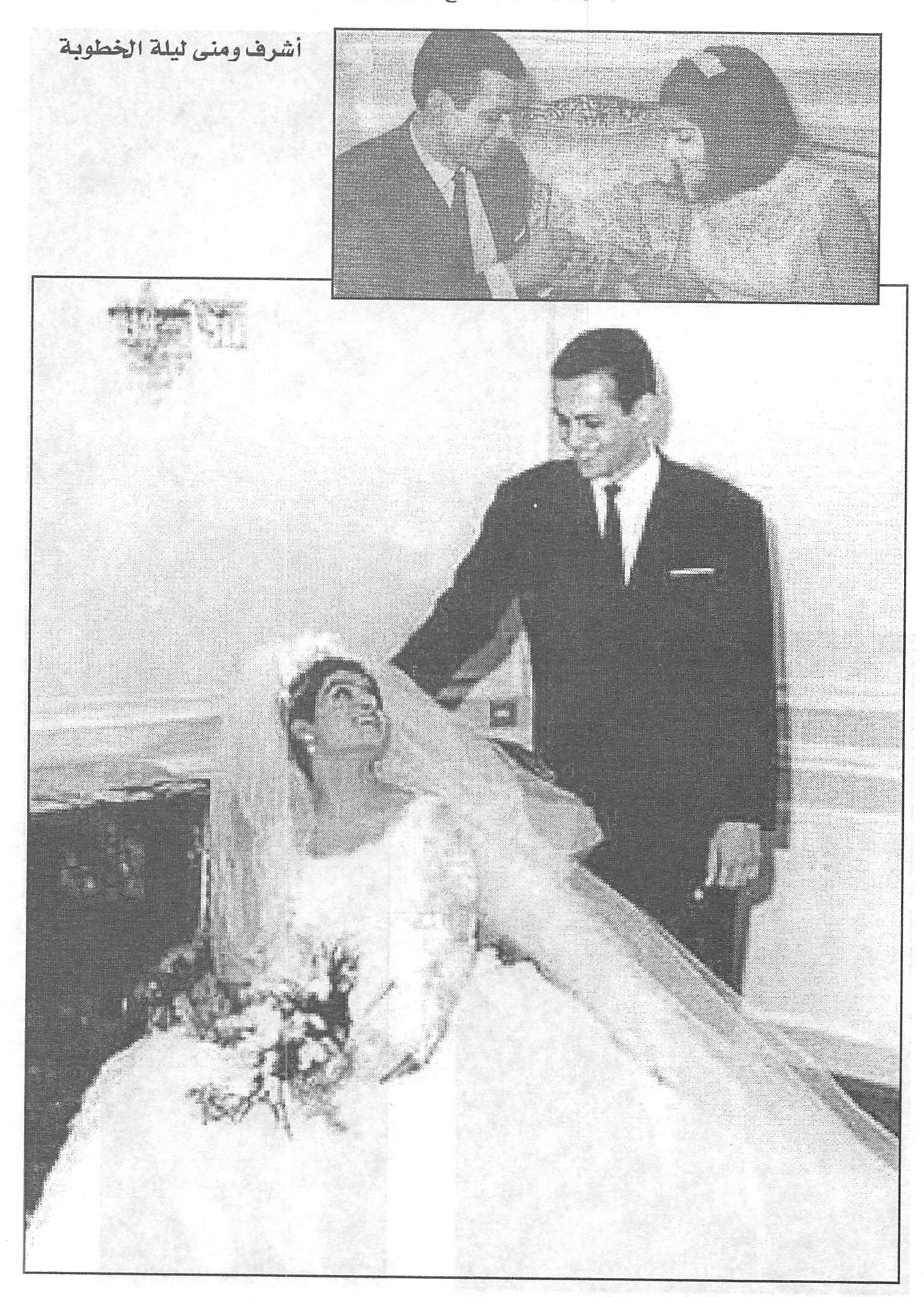


أشرف بين الزعيمين اللذان ساهما بشكل كبيرفى صنع اسطورته



أشرف شاباً

وعندما رأس الهيئة العربية للتصنيع



أشرف ومنى ليلة الخطوبة

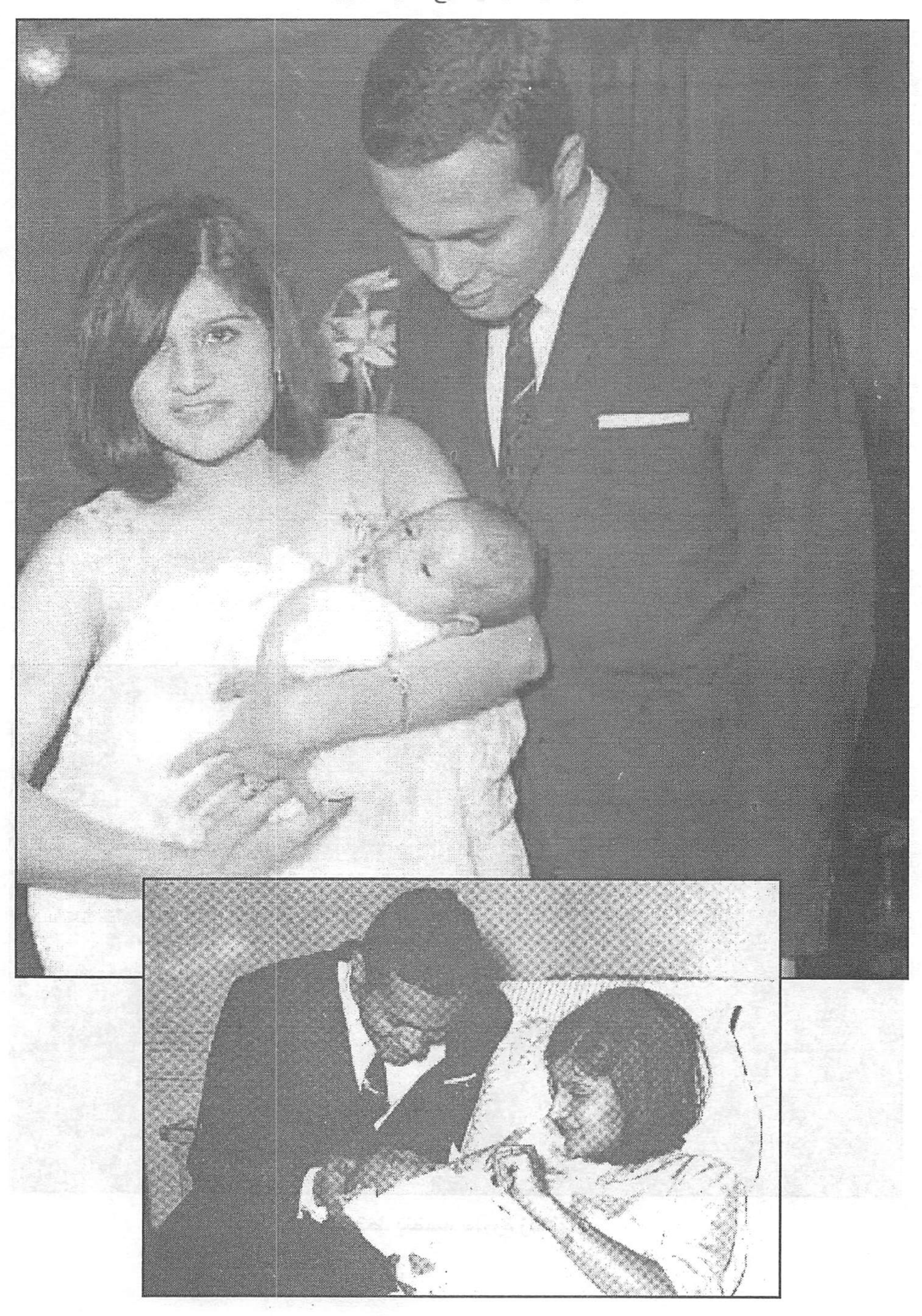
وعند الزفاف



الزعيم يهنأهما بالزفاف



ويلتقط بنفسه صورة زفافهما



لحظة قدوم المولود الأول (جمال)

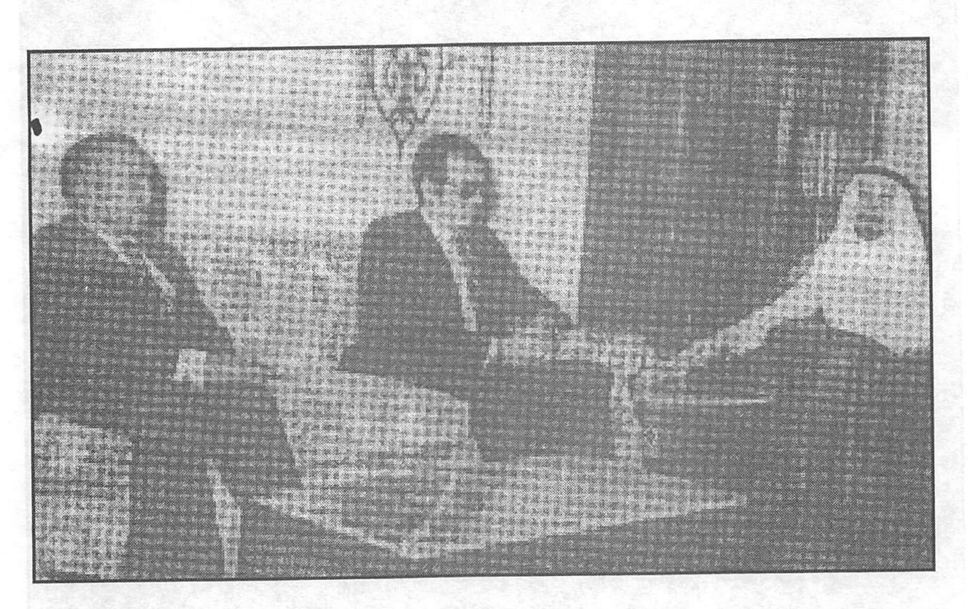


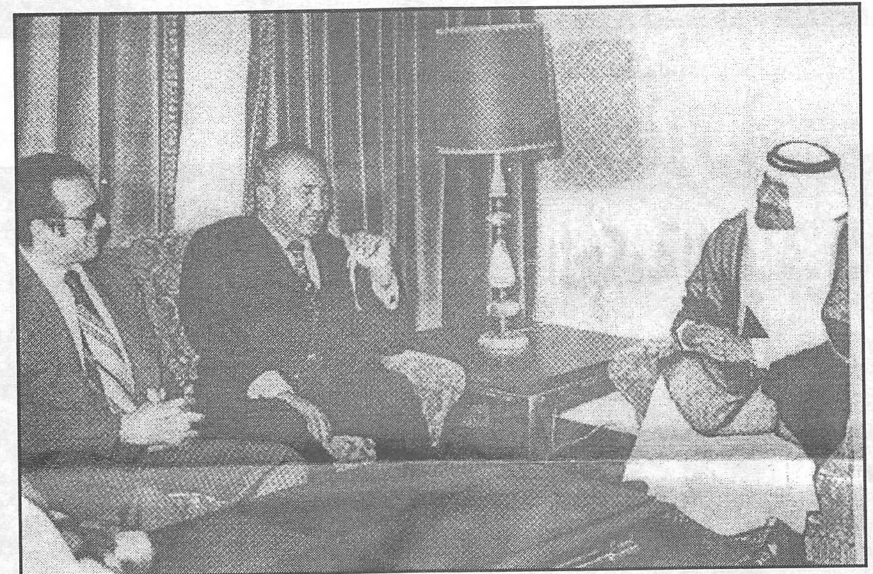


الزعيم.. والحفيد الأول



أشرف مروان يلاعب الزعيم دور شطرنج وباقى الأسرة يتابعون المباراة





أشرف موفداً فى لقاءات دبلوماسية



مع الرئيس السادات فى بعضٍ من هذه اللقاءات



أشرف فى إحدى زياراته القليلة لضريح الزعيم عبد الناصر



إنتهت أسطورة أشرف مروان

قرار جمهوري بإقالته من هيئة التصنيع

صدر قرار جمهوري بانهاء اعارة اشرف مروان الى الهيئة العربية للتصنيع الحربي، ونقله الى وزارة الخارجية.

كان اشرف مروان يشغل منصب رئيس مجلس ادارة هيئة التصنيع العربية، بعد ان انتهى لها من وظيفته في رئاسة الجمهورية في ٢٢ مارس ١٩٧٦ كانت استعارته الى هيئة التصنيع العربيه، ابعادا له من العمل برئاسة الجمهورية، وقد كان يشغل منصب سكرتير الرئيس للمعلومات.

تعليق «الأخبار»:

أشرف مروان

وكان يقضي لياليه في القاهرة

صورة زنكوغرافية لقرار الإقالة الذى نشره موسى صبرى فى الأخبار

SADIQ AGAIN JUST PRIOR TO HIS DEPARTURE ON 24 AUGUST. MY SERVICE ATTACHES AND ADAMSON (MOD SALES) HAD SEPARATE DISCUSSIONS WITH SENIOR EGYPTIAN ARMY OFFICERS CONCERNED WITH DEFENCE PROCUREMENT. ANDERSON AND I ALSO HAD A PRIVATE TALK WITH MR ASHRAF MARAWAN ON BRITISH/LIBYAN DIFFERENCES. A DINNER GIVEN BY GENERAL SADIQ FOR ANDERSON ON 22 AUGUST WAS ATTENDED BY MR HAFIZ ISMAIL (NATIONAL SECURITY ADVISER TO PRESIDENT SADAT), THE COMMANDER OF THE EGYPTIAN AIR FORCE, THE GENERAL COMMANDING EGYPTIAN AIR DEFENCE, THE DIRECTOR OF THE MILITARY INTELLIGENCE, GENERAL MUSTAFA KAMAL (IN CHARGE OF EGYPTIAN ARMS PROCUREMENT) AND OTHER SENIOR ARMY OFFICERS. THE EGYPTIANS WENT OUT OF THEIR WAY TO SHOW THEIR APPRECIATION OF ANDERSON'S VISIT AND THE IMPORTANCE THEY ATTACHED TO IT.

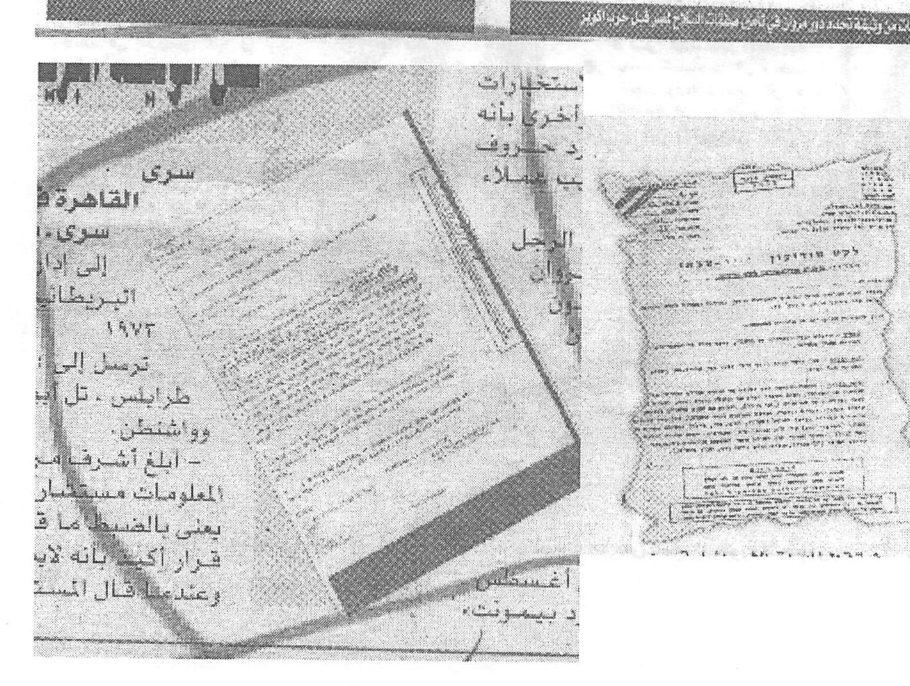
DISCUSSIONS WITH GENERAL SADIQ.

المعنية بما فيها وزارتا الخارجية والدفاع فى   إلى تأجيل زيارة البعثة المصرية الليبية
القاهرة.

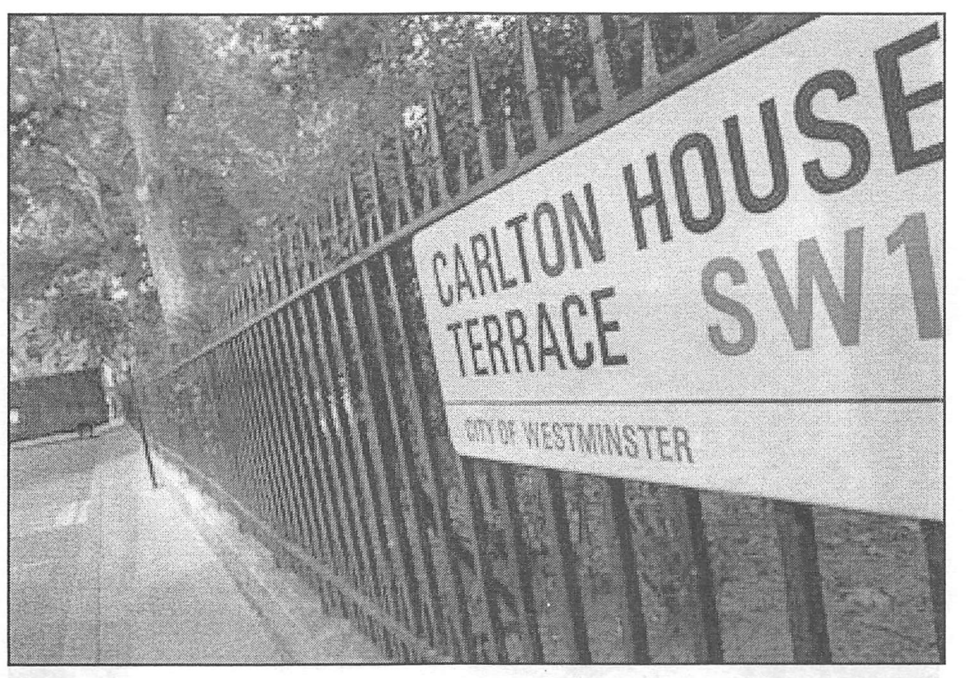
9. ANDERSON IS BRINGING BACK WITH HIM THE FULL RECORD OF OUR DISCUSSION WITH MARAWAN ON ANGLO/LIBYAN RELATIONS. HAFIZ ISMAIL TOLD ME THAT, AS A RESULT OF THE CANCELLATION OF THE LIBYAN NATIONAL DAY CELEBRATIONS ON 1 SEPTEMBER (TRIPOLI TELNO 971 [illegible]), THE EGYPTIAN/LIBYAN CONSULTATIONS WHICH WERE DUE TO TAKE PLACE IN LIBYA AT THAT TIME HAD NOW BEEN POSTPONED. THE PROJECTED VISIT TO PARIS BY THE JOINT EGYPTIAN/LIBYAN ARMS PURCHASING MISSION (MY TEL [illegible] TO MOD OF 16 AUGUST) WILL ALSO BE DELAYED AND MARAWAN HAS NOW SUGGESTED TO ME THAT HE SHOULD VISIT LONDON EARLY IN OCTOBER INSTEAD OF SEPTEMBER. MARAWAN PLAYED

SADIQ AGAIN JUST PRIOR TO HIS DEPARTURE ON 24 AUGUST. MY SERVICE ATTACHES AND ADAMSON (MOD SALES) HAD SEPARATE DISCUSSIONS WITH SENIOR EGYPTIAN ARMY OFFICERS CONCERNED WITH DEFENCE PROCUREMENT. ANDERSON AND I ALSO HAD A PRIVATE TALK WITH MR ASHRAF MARAWAN ON BRITISH/LIBYAN DIFFERENCES. A DINNER GIVEN BY GENERAL SADIQ FOR ANDERSON ON 22 AUGUST WAS ATTENDED BY MR HAFIZ ISMAIL (NATIONAL SECURITY ADVISER TO PRESIDENT SADAT), THE COMMANDER OF THE EGYPTIAN AIR FORCE, THE GENERAL COMMANDING EGYPTIAN AIR DEFENCE, THE DIRECTOR OF THE MILITARY INTELLIGENCE, GENERAL MUSTAFA KAMAL (IN CHARGE OF EGYPTIAN ARMS PROCUREMENT) AND OTHER SENIOR ARMY OFFICERS. THE EGYPTIANS WENT OUT OF THEIR WAY TO SHOW THEIR APPRECIATION OF ANDERSON'S VISIT AND THE IMPORTANCE THEY ATTACHED TO IT.

DISCUSSIONS WITH GENERAL SADIQ.



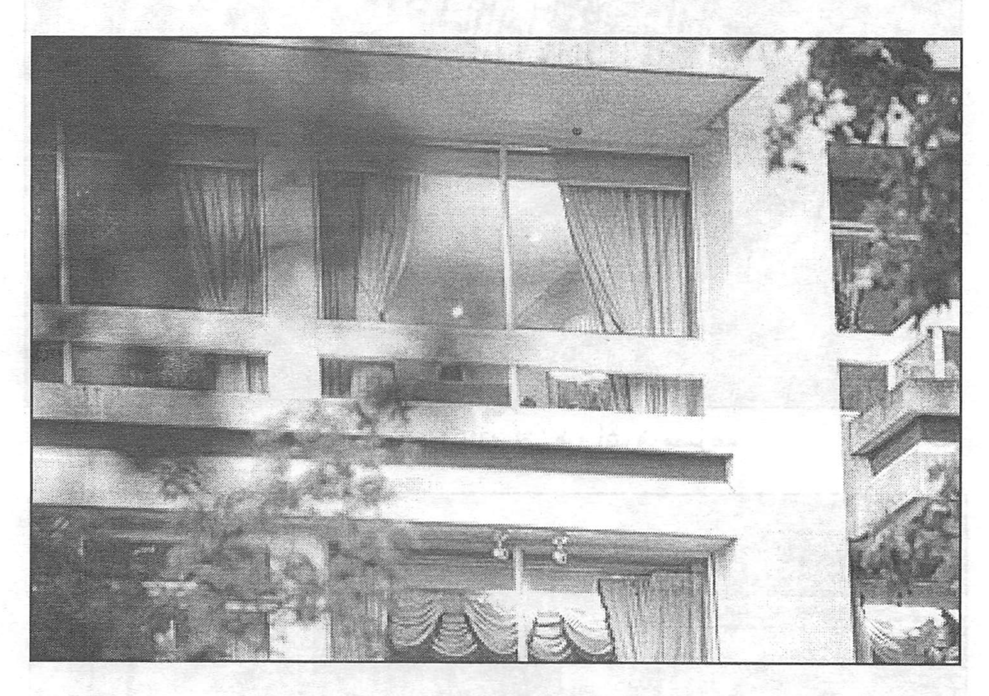
صور وثائق الخارجية البريطانية المشار إليها فى الكتاب نقلاً عن جريدة الطريق القاهرية



مدخل حديقة المنزل الذى لقىّ فيه أشرف مصرعه



رجال الشرطة البريطانية يحيطون بموقع الحادث بعد حدوثه



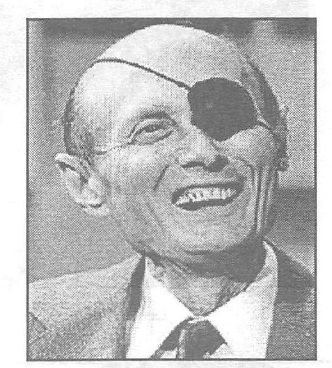
شرفة الشقة التى سقط منها أشرف



جولدا مائير



أهارون برجمان الكاتب الإسرائيلى
الذى فجر القضية



موشيه ديان



إيلى زاعيرعلى يمين الصورة ضابط الموساد الذى أخرج عملية "بابل" للرأى العام
يداعب أهارون برجمان ويربت على كتفه

أشرف مروان متهم بقتل هؤلاء .. فأين الدليل؟





الليثى ناصف

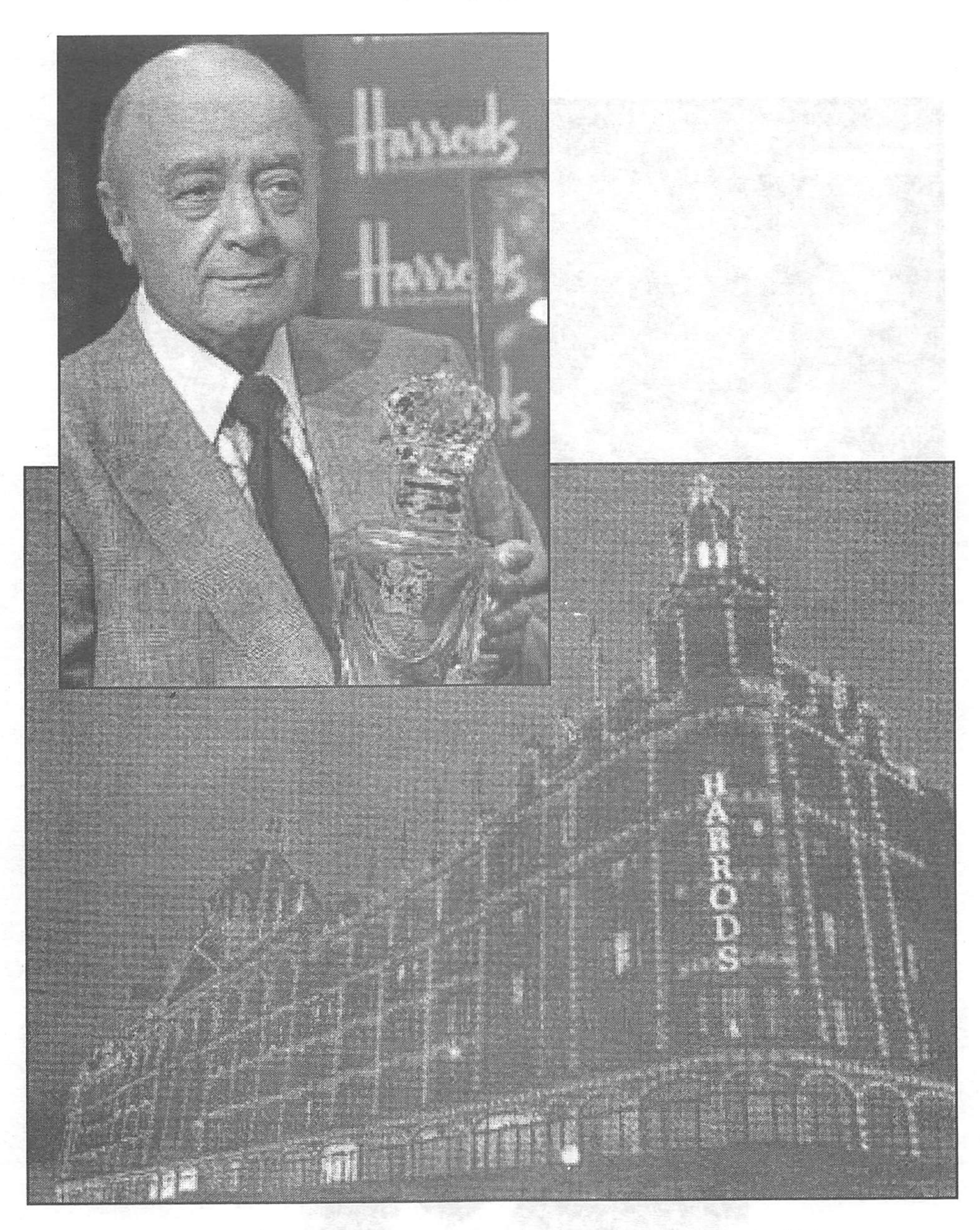
سعاد حسنى



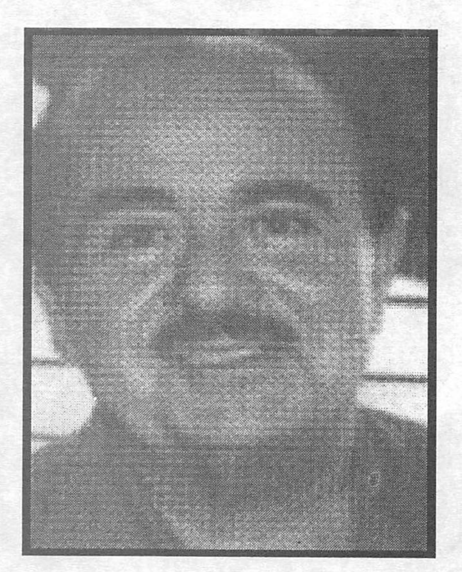


دودى وديانا

على شفيق



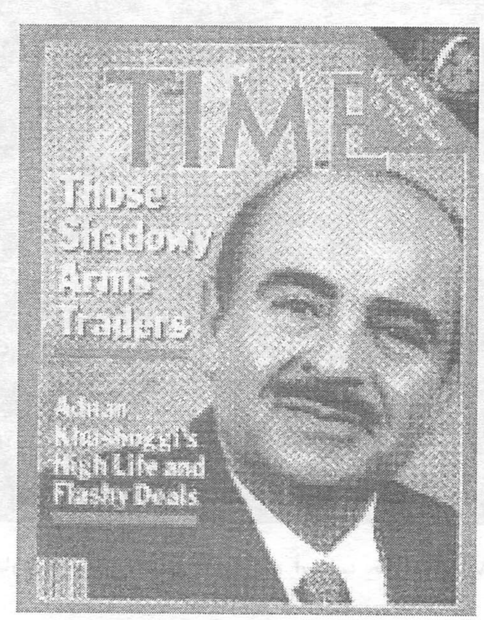
محلات هاردوز الشهيرة التى كانت أهم أسباب خلاف الفايد وأشرف مروان



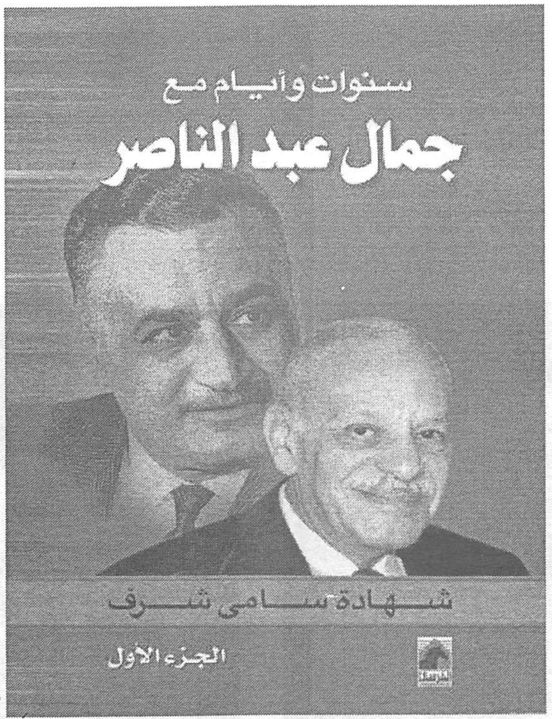
عدنان خاشقجى



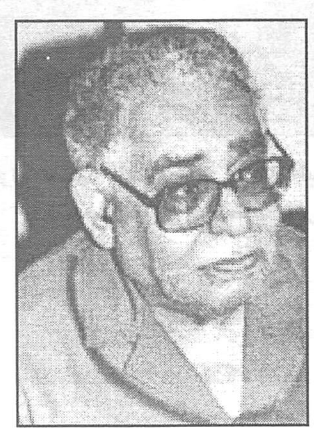
حسن بلقبة سلطان برونادى



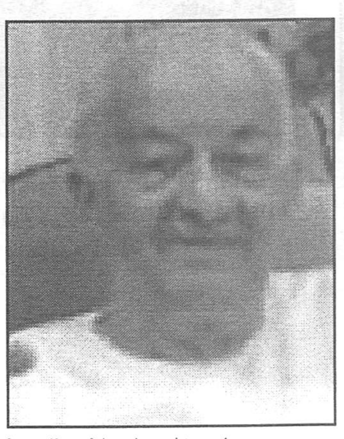
غلاف مجلة التايم الخاص بعدنان خاشقجى



سامى شرف وغلاف مذكراته التى تناول فيها جانباً كبيراً من حياة أشرف مروان



جلال الدين الحمامصى أحد متزعمى حزب العائدين من الكهف



ومحمود جامع الرجل الذى تحدث كثيراً عن أسطورة أشرف مروان



عزة عبد الحافظ سكرتيرته الخاصة أكثر من ربع قرن .. والتى أنهى خدمتها قبل وفاته بأسابيع قليلة



أول صورة تنشر للخادمة البلغارية التى تتحفظ عليها السلطات البريطانية



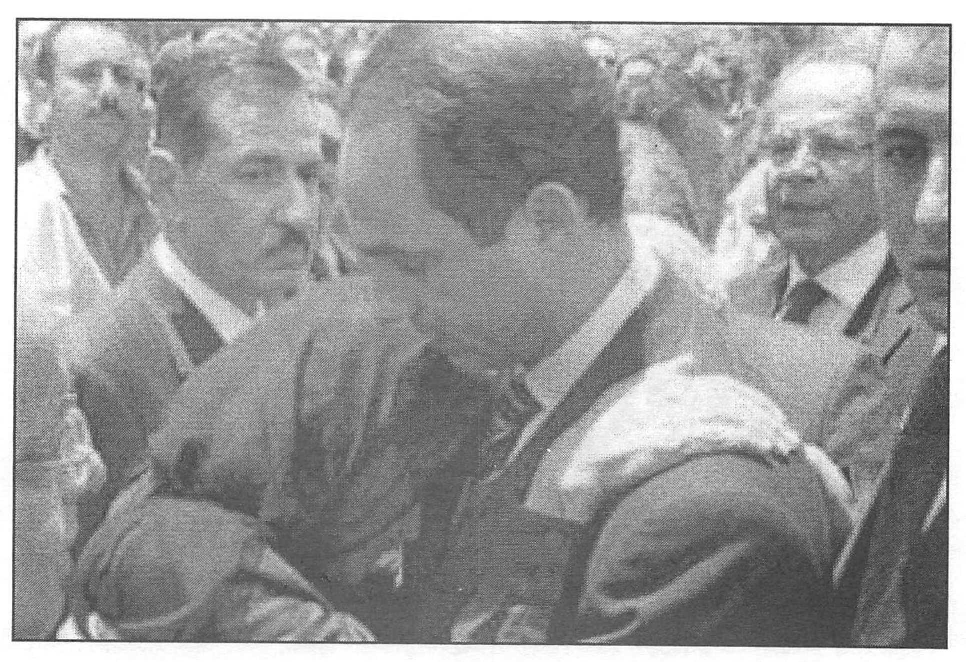
في المسجد... الجميع ملتفين حول النعش ويقرأون له القرآن



شيخ الأزهر يؤم جموع المصلين على الجثمان

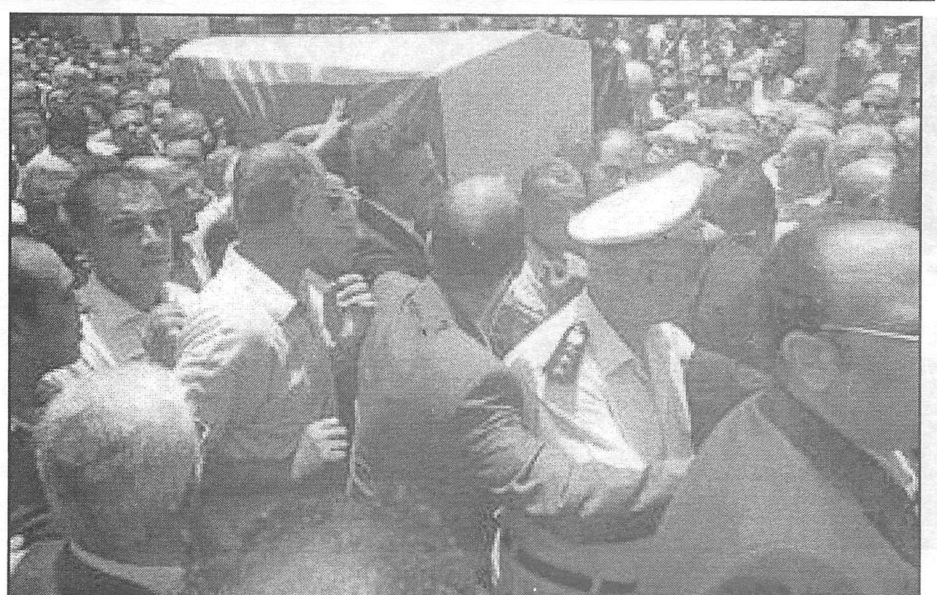


جمال مبارك يتقدم صفوف المشيعين ويبدو فى الصورة منى عبد الناصر وشقيقها جمال



ويواسى منى عبد الناصر أثناء الجنازة.. ويبدو فى الصورة شقيقها خالد جمال عبد الناصر





مشاهد عن الجنازة ويظهر فى الصور ولداه جمال وأحمد وهما يحملان النعش



آخر صورة نشرت لأشرف مع زوجته منى عبد الناصر



أشرف مروان مع ولده أحمد فى لندن



الصورة التى ما فارقت جيب أشرف مروان..
وفيها يقوم الرئيس السادات بتكريم أشرف
مروان ومنحه الوسام

بين عصام شوقى .. والشاهد المجرى تاهت الحقيقة !!



أهم المراجع

١- **السادات الحقيقة والأسطورة** موسى صبرى

٢- **البحث عن الذات** مذكرات الرئيس السادت

٣-**عرفت السادات** المذكرات الشخصية للدكتور محمود جامع

٤- **سيدة من مصر** مذكرات السيدة جيهان السادات

٥-**لمصر.. لا لعبد الناصر** حسنين هيكل

٦- **حوار وراء الأسوار** جلال الدين الحمامصى

٧- **من قتل الليثى ناصف** عادل حمودة

٨- **سنوات وأيام مع عبد الناصر** المذكرات الشخصية لسامى شرف

٩-**من يجرؤ على الكلام** بول فندلى

١٠- **حوار مع الفريق سعد الدين الشاذلى** محمود فوزى

١١- **وتحطمت الأسطورة عند الظهيرة** أحمد بهاء الدين

١٢- **تجربتى** عثمان أحمد عثمان المذكرات الشخصية

دوريات ومترجمات :

١- **دوريات صحفية** (الأسبوع- الفجر- صوت الأمة- الدستور- روز اليوسف الجريدة- روز اليوسف المجلة- جريدة الشرق الأوسط- الحياة اللندنية- الغد- المصرى اليوم- الطريق- الكرامة- العربى- أخبار الحوادث)

٢- **أرشيف معلومات** "الأخبار – الأهرام"

كتب أخرى للمؤلف

١ – إلى أين يا عرب ؟؟!

٢- هكذا تحدث العقاد "قراءة فى فكر العقاد الدينى"

تحت الطبع :

١- آلام الأنبياء "السمات النفسية والإجتماعية للأنبياء فى ضوء التحليل النفسى".

٢- على العطفى "جاسوس فى قصر الرئيس".

٣- أيام .. وليالى صدام.

٤- أوراق شمس بدران.

٥- لندن عاصمة الضباب والموت الغامض.

٦- حب ..وخيانة .. وموت .. فى بيروت !! "وقائع عمالة وإغتيال رئيس جمهورية لبنان بشير الجميل".

٧- حكم البيادة .. والسيف "مأساة مصر تحت أقدام الحكم العسكري".

٨- أشتاتاً أشتوت – مسرحية.

٩- وجه .. وجسد – رواية.

١٠- إيثار اللحظة .. وإيثارها – "مجموعة قصصية".

١١- مقهى ريش .. ذاكرة أمة.

١٢- مواعظ الشيطان "مآخذ الحكمة من أقوال إبى مرة".

١٣- نجيب سرور "مأساة شاعر قتلته الخيانة".

١٤- ناجى العلى "الرجل الذى تفرق دمه بين الموساد .. والعرب .. ومنظمة التحرير الفلسطينية".

١٥- جاسوسة على عرش مصر "حلم كاميليا الذى أسقطته الوكالة اليهودية فى سماء الدلنجات".

١٦- التفاوض.. علم وفن.

١٧- صناعة الجواسيس.

فهرس الكتاب

فهـرس الكتـاب

العميل بابل

■ سيبقى أشرف مروان .. وإلى حين .. هو أكبر علامة استفهام فى التاريخ السياسى والمخابراتى لما بعد أكتوبر ١٩٧٣ .. وما بين وصفه بأنه كان أكبر خائن عرفته مصر عبر تاريخها .. ورجل يستحق نهاية تناسب جرائمه التى لوثت يديه بدماء شهداء الوطن الذى خانه وباعه بحفنة دولارات .. أو وصفه بأنه كان بطلا وطنيا علينا أن نفخر جميعاً به وكان أحد أهم أسباب انتصار أكتوبر المجيد .. ستبقى الحقيقة تبحث عن طاقة نور تخرج للرأى العام من خلالها .. وإلى هذا الحين ستبقى هناك أسئلة أخرى حول المعلن وغير المعلن من ملف العميل بابل .. وكيف لقىَ مصرعه فى لندن بهذا الشكل الدرامى .. وما بين احتمالات الوفاة .. ورحلة صعود وسقوط أشرف مروان .. ستبقى أصابع الاتهام تشير إلى (المخابرات الإسرائيلية) .. كيف .. ولماذا .. وماهى أسباب ذلك .. وشواهده .. هذا ما نحاول الإجابة عنه عبر صفحات هذا الكتاب.

W.Salama 010 15 17 873


I.S.B.N. 977-376-338-2

